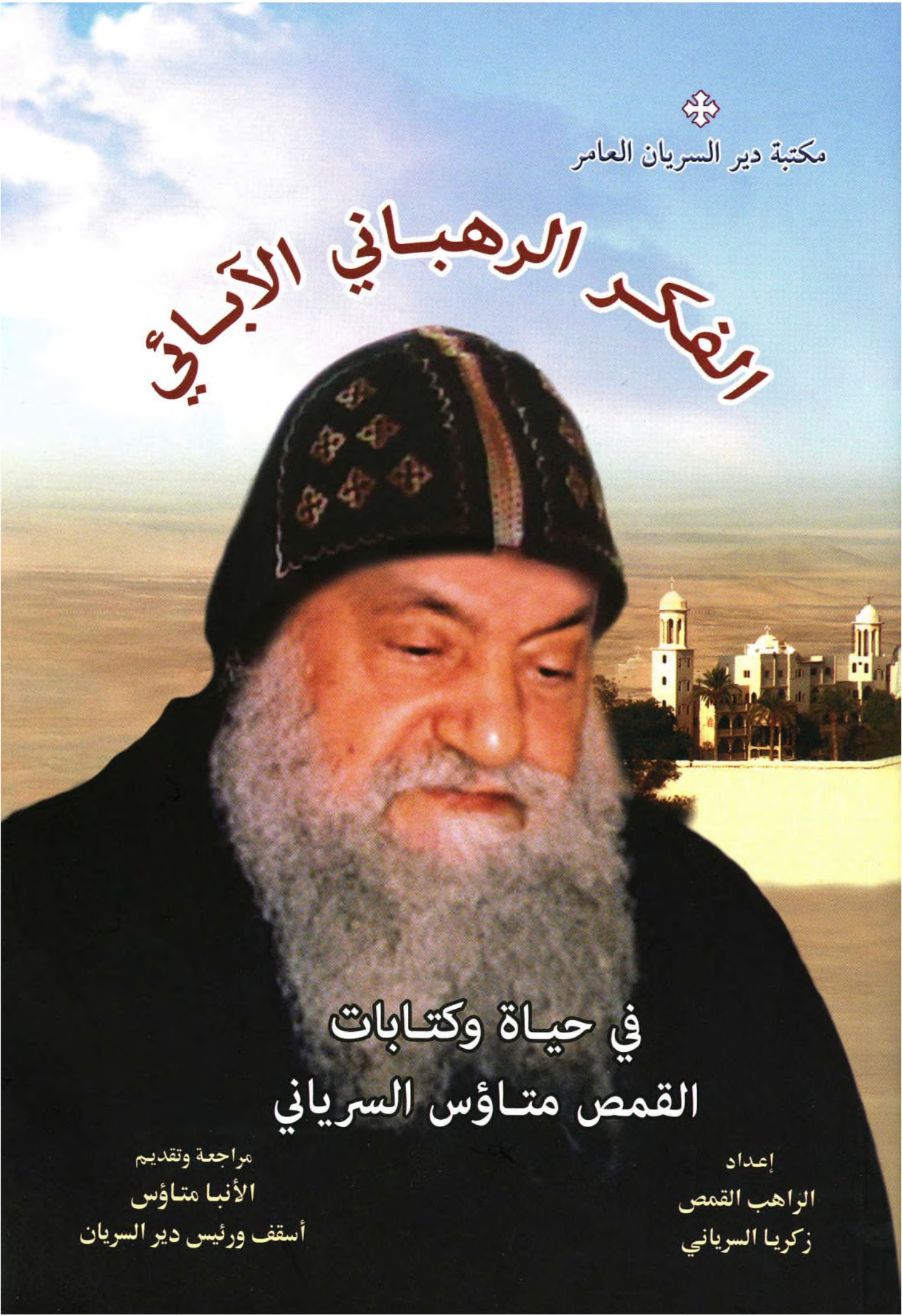

مكتبة دير السريان العامر

الفكر الرهباني الآبائي

في حياة وكتابات القمص متاؤس السرياني

إعداد
الراهب القمص
زكريا السرياني

مراجعة وتقديم
الأنبا متاؤس
أسقف ورئيس دير السريان

✠

مكتبة دير السريان العامر

الفكر الرهباني الآبائي

في حياة وكتابات

القمص متاؤس السرياني

إعداد

الراهب القمص

زكريا السرياني

مراجعة وتقديم

نيافة الأنبا متاؤس

أسقف ورئيس دير السريان العامر

اســـم الكتـــاب : الفكر الرهباني الآبائي
في حياة وكتابات
القمص متاؤس السرياني

إعـــــــــداد : الراهب القمص زكريا السرياني

الناشـــــــــر : دير السيدة العذراء مريم (السريان)

الطبعـــــــــة : الأولى - يوليه ٢٠١٢م

فصل ألوان وطباعة :

مطبعة دير الشهيد العظيم مارمينا العجائبي بمريوط

موبايل: ٠١٢.٥٥٥.٤٤١ & ٠١٢.٥٥٥.٤٤٢

تليفاكس: ٠٣ ٤٥٩٦٤٥٢

رقـــم الإيـــداع : ٢٠١٢/١٤٢٣٤

الترقيم الدولي : I.S.B.N.: 978 - 977 - 6408 - 01

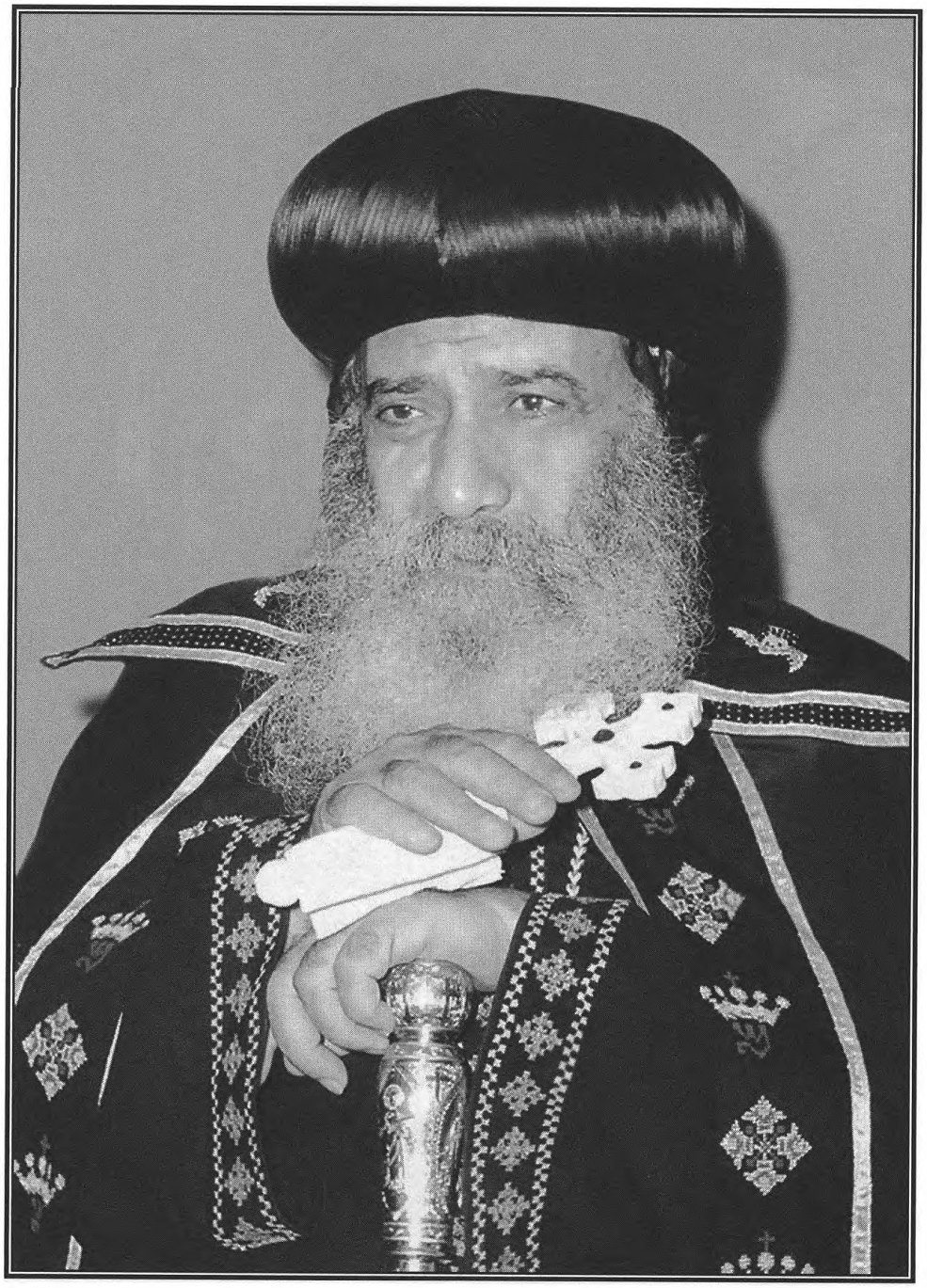

صاحب الغبطة والقداسة

مثلث الرحمات البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٧

نيافة الحَبر الجليل الأنبا متاؤس

أسقف ورئيس دير السيدة العذراء (السريان) العامر

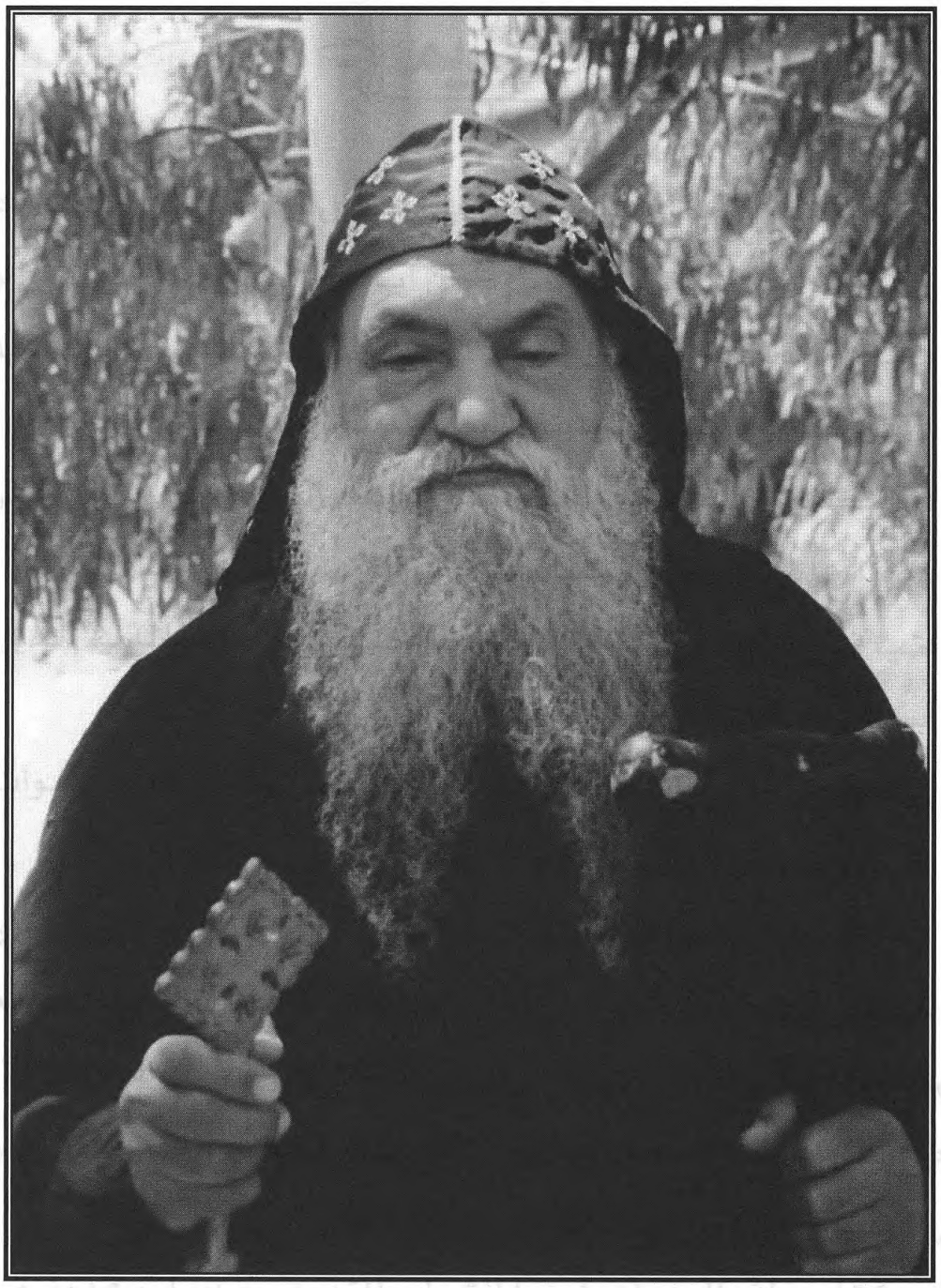

المُتنيح الراهب القمص

متاؤس السرياني

تقديم

المتنيح الراهب القمص متاؤس السرياني عاش في الدير قرابة ستين عاماً، وكان راهباً متوحداً مدققاً محتملاً، وكان أب اعتراف ناجح لكثير من الرهبان صار بعضهم أساقفة مباركين. كان شيخاً وقوراً من شيوخ الدير المعدودين وأكاد أقول كان من شيوخ الرهبنة القبطية المعدودين في عصرها الحاضر.

والآن يكتب أحد تلاميذه المحبين وهو **الراهب القمص زكريا السرياني** هذا الكتاب عنه بإسم "**الفكر الرهباني الآبائي للقمص متاؤس السرياني**".

كتب فيه سيرته الذاتية منذ طفولته حتى رهبنته وحياته في الدير حتى نياحته بسلام.

كتب بعض مناظرات مع القمص متاؤس بطريقة السؤال والجواب على طريقة بستان الرهبان "سأل أخ شيخاً".

اقتبس الكثير من كتاباته وتأملاته التي كان يحتفظ بها لنفسه، وأخرج منها الفكر الرهباني للقمص متاؤس والفضائل الرهبانية التي كان يعيشها ويعلمها لأولاده مثل حياة الغُربة في الرهبنة والثبات في القلاية والجدية والاجتهاد في الحياة الروحية، والصبر والمثابرة في الجهاد الروحي، السكون والهدوء، الصبر والتسبيح، حياة التسليم التي تجلب السلام.

إنه كتاب نافع للرهبان وأيضاً للشباب المتدين، يقدم لهم قدوة حسنة في وقت ندرت فيه القدوة المعاشة، وأصبحنا نعيش على قدوة الآباء القدماء مثل: الأنبا أنطونيوس، وأبو مقار، والأنبا شنوده، والأنبا باخوميوس وغيرهم من آباء الرهبنة القُدامى.

نشكر **الراهب القمص زكريا السرياني** على مجهوده الرائع في هذا الكتاب، ونرجو لهذا الكتاب الانتشار بين الرهبان وغيرهم من أبناء الكنيسة حتى تعمّ الفائدة.

بشفاعة أمنا الطاهرة القديسة مريم وجميع آباء الرهبنة العظام، وصلوات أبينا المتنيح البابا الراهب شنوده الثالث أب رهبان هذا الجيل، وأبينا المتنيح الراهب القمص متاؤس السرياني صاحب هذه السيرة العطرة.

ونعمة الرب تشملنا جميعاً. آمين، ، ،

الأنبا متاؤس

أسقف دير السريان العامر

صوم الرسل الأطهار ٢٠١٢م

مقدمة

إنه لمن الفخر والاعتزاز أن أكون واحداً من الذين تتلمذوا على يد **أبينا المحبوب القمص متاؤس السرياني**، الذي يُعد أحد القلائل الذين عاشوا الحياة الرهبانية كما بروح آبائنا الأوائل حسبما رسموها لنا دون نقص أو خلل فيها. لذا أصبح بحق أيقونة بديعة للرهبنة القبطية، بل ويُعد أحد قادتها في جيلنا الحديث.

ولهذا آثرت في هذا الكتاب أن أوضح الفكر الرهباني النقي، والتعاليم الرهبانية الأصيلة التي سمعناها وتعلمناها من **أبينا القمص متاؤس السرياني**، لكي ما تكون نافعة لمن لم تتح لهم الظروف للتلمذة على قدسه من أجيالنا والأجيال القادمة.

وقد استعنا فيه بأقواله وتأملاته الموجودة في كتاب "**صاحب البصيرة الروحية**" **للراهب القمص أغناطيوس السرياني**، وأيضاً ببعض أقواله وتعاليمه المسجلة أو التي ما زالت تتداول حتى الآن في الأحاديث العامة بين أولاده الرهبان الذين عاصروه وتتلمذوا عليه ووضعناها على شكل مناظرات روحية، فيها يسأل أولاده الرهبان وهو يُجيب، حتى تصبح بشكلها هذا جاذبة للقارئ وبارزة للفكر الرهباني. كما قمنا بتجميع أقواله وتبويبها في مقالات رهبانية، يوضح كل مقال فكر رهباني معين.

أقدم الشكر الجزيل **لحضرة صاحب النيافة الحَبر الجليل الأنبا متاؤس** أسقف ورئيس دير السريان العامر، الذي قام بمراجعة الكتاب والتقديم له،

وأيضاً لكل آبائي الرهبان الذين شاركوا في إعداد هذا الكتاب وتجميعه على الكمبيوتر، الرب يُكافئ الجميع أجراً سمائياً، ويعمل بروحه القدوس فيهم.

بالسؤالات والطلبات التي ترفعها عنا كل حين والدة الإله القديسة الطاهرة العذراء مريم، وصلوات أبينا المتيح مثلث الطوبى والرّحمات البابا الأنبا شنوده الثالث، وصلوات أبينا المكرم الأنبا متاؤس أسقف ورئيس دير السريان العامر، وبركة وصلوات أبينا القمص متاؤس السرياني تشملنا جميعاً.

ولإلهنا كل مجد وكرامة إلى الأبد. آمين.

الراهب القمص
زكريا السرياني

٢٠ يناير ٢٠١٢م
١١ طوبه ١٧٢٨ش } عيد الغطاس المجيد

الفصل الأول

سيرة الراهب القمص

متاؤس السرياني

الفصل الأول

ميلاده ونشأته :

وُلِّدَ **الطفل شوقي** "الراهب القمص متاؤس السرياني" في يوم الأحد الموافق ٢٣ أكتوبر ١٩٢٧م - وكان يوافق يوم ١٢ بابه **عيد استشهاد القديس متى الإنجيلي البشير** - من أب فاضل يُدعى حنا الله عبد الملك عطا الله، أما والدته فكانت امرأة تقية تُدعى بهية سليمان وهما من قرية الترامسة مركز ومحافظة قنا.

وحدث أثناء فترة الحمل به أن والده نُقلَ للعمل في بلدة "الدرّ" التابعة لمحافظة أسوان على أقصى الحدود المصرية السودانية جنوباً وهناك وُلدَ الطفل شوقي. وكان الله قد رزقهما قبل ميلاده - بعام ونصف تقريباً - بطفلة أسمياها تهاني وهى أخته الوحيدة، أما هو فكان لمولده رنة فرح كبيرة لوالديه ولأسرته.

عندما أرادت والدته أن تلحقه بالمدرسة الابتدائية، ليبدأ مشوار تعليمه، وإذ لم تكن هناك مدارس بقرية الترامسة، والتي كانت تقيم فيها بعد وفاة زوجها، تركت قريتها وأسرتها وانتقلت هى وطفلاها إلى مدينة قنا وأقامت هناك حيث ألحقت طفليها بالمدرسة الابتدائية هناك.

أكمل الصبي "شوقي" دراسته الابتدائية وحصل على شهادة الابتدائية القديمة، فمن ثم التحق بالمدرسة الثانوية الصناعية نظام الخمس سنوات وأتم

---

(١) مأخوذة باقتضاب من كتاب "صاحب البصيرة الروحية".

دراسته هناك. وبذلك حصل على دبلوم المدارس الثانوية الصناعية نظام الخمس سنوات، وفي فترة دراسته هذه كان مثالاً للشاب المسيحي العفيف والملتزم.

اشتياقاته الرهبانية:

كان الشاب التقي "شوقي" منذ صغره يميل إلى حياة الهدوء والسكينة، وأحياناً كثيرة كان يختلي بنفسه ليُصلي ويتأمل ويقرأ في الكتاب المقدس.

وذُكر عنه أنه وهو طفل صغير كان أحياناً يقول لأسرته: "أنا عايز أطلع الدير وأترهبن" وكانت والدته أحياناً كثيرة تتأثر وتبكي من مثل هذه الأحاديث.

وفي هذا الصدد يُذكر عن والدته - نيح الله نفسها - أنها حين علمت برهبنته فيما بعد قالت: "أنا كنت دايماً بأدعي له وأقول: يارب يطلع نسل صالح، لكن مش صالح قوي كده لدرجة أنه يسيبني ويترهبن!!".

وبدأ يفكر في الرهبنة والدير ...

كيف؟! وأين؟! ومتى؟!

في هذه الفترة كانت خدمة مدارس الأحد في قنا حديثة العهد، وكان يأتي إليها خدام كثيرون من أماكن متفرقة للخدمة والوعظ بها. فانضم الشاب النشيط شوقي للخدمة معهم وكان يخدم بحب وحماس كبيرين جداً إذ كان يخدم في أماكن كثيرة وقرى متفرقة.

من خلال خدمته في مدارس الأحد، تعرف على الخادم النشيط والواعظ القدير المتنيح طيب الذكر الأستاذ ألفي ناشد، مؤسس جمعية مارمرقس بالأقصر. وقد تكونت بينهما علاقة صداقة حقيقية ومحبة روحية ظل يذكرها بالخير حتى نياحته. ولثقته في شخصه وفي حكمته وخبرته، صارحه برغبته في

الالتحاق بالدير ليعيش حياة الرهبنة. فأسدى له الأستاذ ألفي ناشد نصيحة هامة. وهى: أنه يجب أن يلتحق أولاً بعمل ثم بعد ذلك يرى إن كانت هذه الفكرة من الله فإنها سوف تثبت وتقوى وإن لم تكن كذلك فإنها سوف تتلاشى وتزول من تلقاء نفسها.

فسمع الشاب شوقي لكلامه واستجاب لنصيحته، وبناء على ذلك ترك والدته الأرملة وأخته الوحيدة، وسافر إلى القاهرة للبحث عن عمل في أحد المصانع أو الشركات بما يتفق مع دراسته ومؤهله. ومن هناك اتجه إلى كفر الدوار حيث التحق بالعمل في شركة الغزل والنسيج هناك حيث قضى فيها ما يقرب من عام ونصف. ولم يدع عمله يشغله عن حياته الروحية وما خرج من أجله، بل وكان في نفس الوقت يخدم في كنيسة مارجرجس بكفر الدوار.

كان يخرج في الليل للتمشية، وكان دائم التفكير في موضوع الرهبنة، إذ كانت فكرة الذهاب إلى الدير تلح عليه بشدة!!

وكان يُصلي ويُناجي الله بدموع ويقول له: يارب ... دبرني .. ماذا أفعل؟

إني أشتاق وأريد أن أعيش لك كل أيام حياتي، ولكن ماذا أفعل بأسرتي الصغيرة التي تنتظر عودتي إليهم.

كانت الدعوة الرهبانية تشتعل في قلبه مثل النار ولم يجد سبيلاً لإسكات هذه الأفكار سوى تنفيذها عملياً وعلى ذلك بدأ فعلاً بالترتيب للذهاب إلى الدير.

بداية الخروج إلى البرية:

وكان له زميل له من أيام الدراسة كان قد سبقه وذهب ليترهب في دير القديس العظيم الأنبا بولا أول السواح بالبرية الشرقية. وكان يُدعى الراهب تاوضروس الأنبا بولا.

فأرسل إليه الشاب شوقي يخبره برغبته في أن يلتحق بدير الأنبا بولا ليترهب معه في نفس الدير، فرد عليه أبونا تاوضروس بخطاب يُفيده بقبول آباء دير الأنبا بولا له ليلتحق بالدير ويترهب عندهم وأرسل له عنوان الدير.

وعندئذ عزم على ترك العمل والتوجه لدير الأنبا بولا ليترهب هناك فكتب خطاباً إلى أسرته مفاده أنه ذهب إلى الدير ليترهبن، ولكن لم يذكر لهم اسم الدير، حتى لا يذهبوا إليه ويعيقوه عن طريقه الذي اختاره.

وقد ترك هذا الخطاب لأحد زملائه في العمل طالباً إليه أن يرسله إلى أسرته على عنوانهم، ولكن بعد أن يذهب إلى الدير!!!

وأعد شنطة صغيرة بها بعض حاجاته واحتياجاته الخاصة والضرورية وكذلك بعض الأوراق الشخصية الخاصة وقام ليلاً دون أن يشعر به أحد من زملائه في السكن الذي كان يقيم به، وذهب إلى محطة السكك الحديدية ليستقل أحد القطارات المتجهة إلى القاهرة ومنها يتوجه إلى دير الأنبا بولا.

وهناك في المحطة اكتشف أنه قد نسى حافظة نقوده في السكن! فعاد مسرعاً إلى السكن وأخذ حافظته وقفل راجعاً إلى المحطة، واستقل القطار المتجه إلى القاهرة.

عندما وصل إلى القاهرة قال لنفسه: لكي لا أضل الطريق وحيث أنني لا أعرف أحداً هنا فأذهب إلى البطرخانة "الكنيسة المرقسية الكبرى بالأزبكية" وهناك أسأل عن طريقة الوصول إلى دير الأنبا بولا.

ذهب الشاب شوقي إلى البطرخانة القديمة بكلوت بك "الكنيسة المرقسية الكبرى بالأزبكية" ودخل كنيسة الشهيد اسطفانوس الصغيرة الملحقة بالكنيسة المرقسية وهناك وجد كاهناً وقوراً فسلم عليه وجلس بجواره وسأله عن طريقة الوصول إلى دير الأنبا بولا.

فسأله ذلك الأب الكاهن لماذا تسأل عن دير الأنبا بولا؟

فأجابه بأنه يريد أن يترهب هناك.

فسأله ذلك الأب الكاهن عن بعض أموره الشخصية فعرف أنه وحيد لأمه الأرملة وليس له غير أخت وحيدة! عندئذ انتهره ذلك الأب الكاهن بشدة قائلاً: "وحيد وعايز تترهبن؟ أنت البعيد مجرم !!!"، فسلم عليه وانصرف وكأنه لم يسمع شيئاً.

اللَّه يقوده إلى دير السريان:

بعد تلك المقابلة مع ذلك الأب الكاهن وقف يفكر ماذا يفعل؟! وإلى أين يذهب؟! وكيف يتصرف؟! ولكنه وجد أحد الشمامسة وحوله بعض الأطفال الصغار يعلمهم ألحان الكنيسة، فتوجه إليه وسأله عن طريقة الوصول إلى مقر دير الأنبا بولا.

فنادى هذا الشماس أحد الأطفال وقال له: "وَصَّل الأستاذ إلى مقر دير الأنبا بولا جنب العزباوية".

وعلى ما يبدو أن ذلك الطفل - وبتدبير إلهي عجيب - لم يسمع في تلك اللحظة سوى كلمة العزباوية! فأوصله إلى العزباوية وهى مقر دير السريان.

ونترك هنا الحديث لأبينا الحبيب ليروي لنا أحداث تلك الليلة **فيقول قدسه:**

"دخلت إلى العزباوية، وأنا لا أدري أنني في مقر دير السريان، وليس مقر دير الأنبا بولا، الذي أريد الوصول إليه، وهناك تقابلت مع أحد الآباء، قيل لي أنه الأنبا ثاؤفيلس رئيس الدير فسلمت عليه وجلست معه وأخبرته عن رغبتي في الرهبنة.

فسألني عن بعض الأمور الخاصة بي، ولكي يعرف مدى ثباتي في رغبتي، وقوة ثبات فكرة الرهبنة عندي، أخذ يحدثني عن صعوبة ومشقة الحياة

الرهبانية وما فيها من حروب وتجارب وعوز وضيق، وأظهرت لنيافته قوة وعمق رغبتي هذه، وطلبت إليه أن يُصلي من أجلي ويقبلني في الدير لأكون من بين أبنائه.

بعد أن تأكد المتنيح الأنبا ثاؤفيلس من صدق نيته وكلامه وكذلك قوة ثباته على رغبته، طلب من الأب الوكيل أن يكتب للأخ شوقي خطاب تزكية لكي يذهب به إلى الدير، وهناك يسلمه إلى الأب أمين الدير ليقبله كطالب رهبنة.

كل هذه الأحداث والشاب شوقي في ذهنه أنه في مقر دير الأنبا بولا!!!

وقد حدث أثناء إعداد العشاء له أنه سأل الذي يُعد له الطعام:

"مش هو ده برضه مقر دير الأنبا بولا؟"

فرد ذلك الشخص متعجباً ومستهجناً قائلاً:

"مقر دير أنبا بولا إيه يا أستاذ؟!! أنت هنا في العزباوية، مقر دير السريان"

ويعلق قدسه على هذا الموقف قائلاً:

"عندما سمعت هذا الرد الغير متوقع لم أشك ولم أتردد ولم أهتز في داخلي.

وقضى ليلته هذه في صلاة حارة قوية لكي ما يرشده الرب ويسنده في هذا الطريق الجديد وهذا الدير الذي لا يعرَف عنه سوى اسمه!!

الانطلاق إلى دير السريان:

في صبيحة يوم الخميس الموافق ١٩٤٩/٥/١٢م استقل الأخ "شوقي حنا الله" الأتوبيس المتجه إلى طريق مصر / إسكندرية الصحراوي، ونزل منه عند منطقة الرست هاوس ومنها إلى قرية الهوكارية (وادي النطرون حالياً).

وكانت الطرق المؤدية إلى الأديرة وعرة وغير ممهدة ولكي تصل إلى أحد الأديرة لا بد أن يكون معك مرشد أو دليل.

وكان يوجد في قرية الهوكارية مرشد للأديرة اسمه"حسن الجزيري" ، فرافق الشاب شوقي من الهوكارية إلى دير السريان سيراً على الأقدام، حتى لاحت لهما أسوار الدير من بعيد. وعندما وصلا هناك طرقا باب الدير ففتح لهما الأب البواب واستفسر منهما عن قصدهما ، ومن ثم استقبل الشاب شوقي بكل محبة وترحاب مما أثلج صدر ذلك الغريب القادم من العالم!

وكعادة الدير في تلك الأيام، الذي يأتي إلى الدير سيراً على الأقدام من منطقة الرست هاوس كانوا يغسلون قدميه، فإن الآباء الذين استقبلوه غسلوا قدميه تعبيراً عن محبتهم له وترحيبهم به، وكذلك إراحة له من عناء الطريق ومشقته.

وفي أثناء ذلك حضر الأب الفاضل والشيخ الوقور المتنيح الراهب القمص سيداروس الكبير، أمين الدير في ذاك الوقت. فأسرع إليه الشاب شوقي يسلم عليه ويسلمه خطاب التزكية الذي أرسله معه نيافة الأنبا ثاؤفيلس. فقبله أبونا سيداروس بفرح، وقام بتسكينه في إحدى القلالي.

فترة الاختبار:

منذ اللحظة الأولى لقبول الأخ شوقي حنا الله كطالب رهبنة تحت الاختبار كان مثالاً لطالب الرهبنة الملتزم بناموس الدير وبحياته الجديدة.

وبالإضافة إلى عمله الأساسي الذي كلَّفه به الدير وهو المجمع، (مضيفة الدير) فقد أخذ على عاتقه مهمة خدمة آباء الدير بمحبة واتضاع كبيرين، ولا سيما أن معظمهم كان من الشيوخ القدامى، الذين لهم أعوام طويلة في الرهبنة.

واستمر الأخ شوقي على هذا حتى نال رضى جميع آباء الدير.

رهبنته:

بعد مرور أربعة أشهر تقريباً على دخوله الدير، اتفق رأي جميع آباء الدير على كتابة تزكية [1] للأخ شوقي حنا الله لرهبنته. فكتبوا تزكية جماعية ووقعوا عليها جميعهم. وأخذ هذه التزكية أبونا سيداروس الكبير (أمين الدير وأب اعترافه) وسافر إلى القاهرة وسلمها إلى نيافة الأنبا ثاؤفيلس رئيس الدير، فوعده بتلبية رغبة مجمع الدير.

وفي عشية عيد الصليب المقدس (١٧ توت) وبعد مزامير صلاة عشية، وفي كنيسة السيدة العذراء (السريان) قام الأنبا ثاؤفيلس بإعطاء الرشومات الثلاثة للأخ شوقي لرهبنته بِاسم الراهب متى السرياني. وفي صباح يوم عيد الصليب يوم الثلاثاء الموافق ١٩٤٩/٩/٢٧م وبعد رفع بخور باكر قام الأنبا ثاؤفيلس بسيامته راهباً

كانت رهبنة أبونا متى بمثابة نقطة الانطلاق الروحي له فمنذ اليوم الأول لرهبنته عاش راهباً جاداً ومدققاً جداً في حياته الرهبانية. كان يعشق الجلوس في القلاية ولا يفارقها إلا لتأدية الأعمال المكلف بها من قبل الدير، أو لكي يشترك في صلاة مجمع الغروب وصلاة نصف الليل إذ كان حريصاً جداً في المواظبة عليها.

وكان معظم وقته الذي كان يقضيه في قلايته موزعاً بين قانونه الروحي من جهة، وبعض الأعمال اليدوية الرهبانية من جهة أخرى. وقد برع جداً في نسخ الكتب الرهبانية والمخطوطات القديمة.

---

[1] أبونا متاؤس هو آخِر من ترهب في دير السريان - في أثناء فترة رئاسة الأنبا ثاؤفيلس - بنظام التزكية.

عمله في الدير:

بعد رهبنته بقليل أسند إليه الدير عمل قندلفت الكنيسة، أي المسئول عن الكنيسة من جهة نظافتها وتوفير ما تحتاج إليه من شمع وبخور وأباركة وكذلك ترتيبها وإعدادها للمناسبات المختلفة، وأيضاً تعمير القناديل الموجودة بها (أي تنظيفها وتغيير فتيلها وملئها بالزيت وإيقادها).

وكثيراً ما كان بعد صلاة الغروب يقوم بكنس الدير الأثري كله ثم بعد ذلك يرشه بالماء أيضاً.

سيامته قساً:

في صبيحة يوم الأحد الموافق ١٩٥٠/١٠/٢٢م، وكان يوافق يوم ١٢ بابه عيد استشهاد القديس متى الإنجيلي البشير قام نيافة الأنبا ثاؤفيلس بسيامته قساً مع كل من الراهب مكاري السرياني والراهب هيلاسلاسي الحبشي.

تغيير الاسم:

وفي أوائل سنة ١٩٥١م، وبالتحديد في شهر مارس، حضر إلى دير السريان العامر الراهب متى الصموئيلي (المتنيح الأب متى المسكين) مُرسَلاً من قِبَل القمص مينا البرَموسي المتوحد (المتنيح قداسة البابا كيرلس السادس، فيما بعد) ذلك لكي يقيم بالدير بدلاً من دير الأنبا صموئيل المعترف بعد إلغاء الاعتراف به من قِبَل المجمع المقدس في ذلك الوقت لظروف ما.

ومنعاً للتداخل والالتباس فقد اعتاد الأنبا ثاؤفيلس وآباء الدير من يومها مناداة أبونا متى السرياني بِاسم أبونا متاؤس.

ترقيته قمصاً والتحاقه بمدرسة الرهبان اللاهوتية بحلوان:

ولما رأى الأنبا ثاؤفيلس نشاط والتزام وأمانة أبينا متاؤس قرر أن يرسله إلى مدرسة الرهبان اللاهوتية بحلوان فمن ثم قام بترقيته إلى درجة القمصية في يوم الأحد ١٩٥١/١٠/٧م.

وقد فاجأ الأنبا ثاؤفيلس أبونا متاؤس بطلبه بتجهيز نفسه للذهاب إلى مدرسة الرهبان، حاول أبونا متاؤس كثيراً وجاهد أن يعتذر، ولكن الأنبا ثاؤفيلس كان مُصراً، وقد اتخذ قراره وأمام هذا الإصرار من جانب الأنبا ثاؤفيلس امتثل أبونا متاؤس للأمر.

وهكذا سافر أبونا متاؤس مع الأنبا ثاؤفيلس من الدير إلى القاهرة ومنها إلى حلوان حيث مدرسة الرهبان.

وكان في تلك الفترة يعترف على يد القمص مينا البرَموسي المتوحد (مثلث الرحمات المتنيح قداسة البابا كيرلس السادس فيما بعد).

انتظم أبونا متاؤس في دراسته بمدرسة الرهبان وكان فيها مثالاً للطالب المتفوق في دراسته، وكذلك الراهب الملتزم بطقسه الرهباني، إلى أن جاءت فترة عطلة بمناسبة عيدَّي الميلاد والغطاس. فرجع الآباء الرهبان لقضاء فترة الأعياد بين إخوتهم. وبعد انتهاء تلك العطلة ظل أبونا متاؤس في ديره ورفض العودة مرة أخرى للمدرسة. وذلك لمحبته القوية لديره ولحياة السكون والهدوء التي كان يعشقها.

تعيينه أميناً للدير "الرُبّيتة"[1]:

بعد عودة أبونا متاؤس، واستقراره في ديره وقلايته، استلم عمله السابق وهو قندلفت الكنيسة حتى أغسطس ١٩٥٥م. وبعدها أسند إليه المتنيح نيافة الأنبا ثاؤفيلس رئيس الدير مسئولية أمين الدير (الرُبيتة).

ولكن نظراً لمحبته الشديدة لحياة الهدوء، وأن يكون في سلام مع الجميع، رأى أن هذا المنصب لا يوافقه ولا يوافق أهدافه الرهبانية التي ينشدها ويتطلع إليها. فقدم استقالته من هذه المسئولية إلى الأنبا ثاؤفيلس رئيس الدير وكان ذلك في أوائل شهر يناير ١٩٥٦م.

خروجه إلى دير الأنبا صموئيل المعترف مع عشرة من آباء الدير:

بعد أن استقال أبونا متاؤس من الرُباتية (أمانة الدير)، أبدى أبونا متى المسكين كامل استعداده ليكون هو الرُبيتة.

ولكن سرعان ما نشأت بعض الخلافات واختلاف في وجهات النظر فيما بين الأنبا ثاؤفيلس كرئيس للدير من جهة وبين الأب متى المسكين كأمين للدير (الرُبيتة). إلا أن هذه الخلافات زادت، حتى ترك القمص متى المسكين دير السريان، ونزل إلى القاهرة حيث توجه إلى القمص مينا البرَموسي المتوحد (المتنيح البابا كيرلس السادس) الذي كان وقتها يُقيم بكنيسة مارمينا بالزهراء بمصر القديمة وأقام عنده.

---

[1] كلمة رُبيتة تتكون من مقطعين هما (رب - بيت) وهي مصطلح رهباني، اعتادت المجتمعات الرهبانية إطلاقه على الأب المسئول عن تدبير أمور الدير، كما يدبر رب الأسرة بيته.

وفي يوم الجمعة الموافق ١٩٥٦/٧/٢٠م خرج من دير السريان عشرة من الآباء الرهبان - كان من بينهم أبينا الحبيب القمص متاؤس السرياني - متجهين إلى كنيسة مارمينا بالزهراء بمصر القديمة حيث يُقيم القمص متى المسكين (الأب الروحي لهم).

وفي يوم الاثنين الموافق ١٩٥٦/٧/٣٠م استقل القمص متى المسكين والآباء الرهبان العشرة القطار المتجه إلى مغاغة ثم إلى قرية الزورة، ومن ثَمَ إلى دير الأنبا صموئيل المعترف حيث استقر بهم المطاف هناك.

عمل القمص متى المسكين ومجموعة الآباء الرهبان العشرة الذين معه على تعمير الدير الذي كان يُعاني من الفقر الشديد وانعدام إمكانيات المعيشة تقريباً في تلك الفترة.

فبنى الآباء عدة قلالي، وزرعوا بعض الخضروات، وقد أقاموا بالدير مدة ثلاث سنوات تقريباً.

عودته إلى دير السريان العامر مرة أُخرى:

نظراً للحياة القاسية جداً في دير الأنبا صموئيل في ذلك الوقت، بالإضافة إلى النُسك الشديد الذي كان يسلك فيه أبونا متاؤس بتدابير عالية في الصوم والميطانيات والصلاة.

كل هذا أدى إلى إصابة أبونا متاؤس بأنيميا حادة حتى أصبحت حالته الصحية العامة ضعيفة جداً لدرجة أنه لم يستطع الوقوف على رجليه وخدمة نفسه!!

لذا نزل أبونا متاؤس إلى بلدته (محافظة قنا)، وبعد فترة من العلاج والراحة استرد أبونا متاؤس صحته وعافيته.

وفي يوم ١٩/١/١٩٥٩م عادت الحمامة إلى الفلك، ورجع أبونا القمص متاؤس إلى ديره المحبوب، دير السريان العامر ببرية شيهيت المقدسة. وقد استقبله نيافة الأنبا ثاؤفيلس رئيس الدير، وكل مجمع الدير بكل حب وفرح وترحاب.

وعاد أبونا متاؤس إلى قلايته وعمله كقندلفت الكنيسة كذلك أُسند إليه تسليم طقس القداس للكهنة الجدد وهكذا استقر به الحال في ديره وقلايته وعمله.

بناؤه لأول قلاية منفردة خارج أسوار الدير الأثري:

وقد تمنى أبونا متاؤس كثيراً أن تكون له قلاية منفردة يعيش فيها حياة الوحدة ويتمتع بالهدوء والسكون، وظلت هذه الفكرة تُداعب خياله سنوات طويلة إلى أن سمحت إرادة الرب بذلك.

ففي شهر أغسطس ١٩٦٠م بدأ أبونا متاؤس في بناء قلايته الخارجية وهي أول قلاية منفردة تُبنى خارج أسوار الدير الأثري،وظل العمل قائماً حتى تم بناء القلاية وسكن فيها أبونا متاؤس.

ظل أبونا متاؤس في عمله كقندلفت للكنيسة، رغم سكنه في القلاية المنفردة خارج الدير الأثري مدة من الزمن.

ولكي يتوافق عمله مع سكناه في القلاية الخارجية المنفردة، تم تغيير عمله من قندلفت الكنيسة إلى العمل في الطابونة حيث كان الدير في ذلك الوقت يقوم بعمل الخبز مرة واحدة في الأسبوع وذلك يوم السبت.

فكان أبونا متاؤس يقوم بعمله في الطابونة يوم السبت ثم يحضر صلاة العشية وقداس المجمع مع الآباء يوم الأحد ومن ثم يعود إلى قلايته الخارجية المنفردة ويظل بها حتى يوم السبت من الأسبوع التالي، وبذلك تسنى له الجلوس في القلاية والهدوء.

أب اعتراف ومُدبر روحي:

لعل أبرز ما كان يتميز به أبونا القمص متاؤس السرياني، هو ما حبَّاه الله به من نعمة وموهبة الأبوة والتدبير والإرشاد كهبة خاصة أعطاها الله له.

ففي سنة ١٩٦٥م يبدأ أبونا القمص متاؤس مرحلة جديدة في حياته المشرقة وتاريخه المشرف، ألا وهى تحمله مسئولية أخذ اعترافات الرهبان.

وقد استمر أبونا القمص متاؤس في تدبيره وإرشاده لأبنائه الروحيين أساقفة وكهنة ورهباناً معلماً، ومرشداً، ومدبراً، مصلياً لأجلهم.

وما كان يتميز به كأب اعتراف هو تمتعه بقدر كبير من الحكمة والإفراز في كل الأمور الروحية.

وتميز أيضاً بالحزم والشدة وعدم التهاون مع المخطئ لكي ما يقومه ويضعه على الطريق الروحي السليم.

وعلى الرغم من شدته وحزمه إلا أنه كان في نفس الوقت يتمتع بحنو وعطف شديد.

لعل أهم ما كان يميز شخصية أبونا القمص متاؤس سواء في حياته الخاصة أو كأب اعتراف هو الاعتدال في كل شيء.

ثباته في الدير:

فقد وضع أبونا القمص متاؤس أمامه مبدأ اعتنقه، وطريقاً سلكه، وهدفاً حققه. ألا وهو الثبات في الدير في حياة رهبانية جادة وملتزمة، وكذلك الابتعاد عن أي مناصب أو مسئوليات.

لذا بعد خلو الكرسي الأورشليمي بنياحة الأنبا ياكوبوس مطران القدس أراد قداسة البابا كيرلس السادس أن يرسمه مطراناً للقدس ولكنه اعتذر عن هذا المنصب الرفيع وتلك الرتبة الجليلة.

بعد مرور تسعة أعوام على دعوة قداسة البابا كيرلس السادس، وبالتحديد في سنة ١٩٦٨م حدثت بعض الخلافات بين المتنيح نيافة الأنبا أبرآم أسقف إسنا والأقصر وأسوان السابق مع بعض أراخنة الإيبارشية انتهت بقرار عزل نيافته عن الإيبارشية.

في ذلك الوقت استدعى قداسة البابا كيرلس السادس أبونا القمص متاؤس السرياني من ديره وطلب منه الذهاب إلى الأقصر كنائب بابوي له هناك وحل مشاكل الإيبارشية مع الوعد بسيامته أسقفاً حين خلو الكرسي، ولكنه اعتذر عن قبول هذه المناصب. وذَكَّرَ قداسة البابا كيرلس السادس بأنه لا يريد الخروج من ديره إلى نهاية حياته.

لقد كان الهدف أمامه ثابتاً والطريق واضحاً ألا وهو الثبات داخل أسوار الدير.

تزينه بالفضائل الروحية:

تزين أبونا الحبيب القمص متاؤس بمجموعة من الفضائل الروحية بعضها ظاهر جلي للعيان، وأكثرها مختفٍ ومتوارٍ عن الأذهان. ولكنها في مجملها حياة زُيِّنَت بالفضائل الروحية والرهبانية والتي أثمرت بعد جهاد كثير حتى العرق والدم.

فقد عاش أبونا متاؤس حياة الصلاة بحب وبساطة وتلقائية عجيبة جداً. ولكن بساطته وتلقائيته في الصلاة لم تمنع إطلاقاً أن يكون مجاهداً ونشيطاً بل ومدققاً جداً وحازماً أكثر فأكثر مع نفسه في إتمام قانون صلاته.

وقد مارس أبونا الحبيب القمص متاؤس الصوم إذ أنه في بداية حياته الرهبانية كان يصوم لفترات طويلة وكان جسده نحيفاً جداً من كثرة الصوم.

كذلك في أثناء فترة تواجده في دير أنبا صموئيل (١٩٥٦ - ١٩٥٩م) كان يصوم كثيراً جداً حتى أنه أُصيب بضعف شديد وأنيميا حادة.

ولأنه اختبر الدرجات العالية في الصوم وتأثيراتها، كان معتدلاً في تدبيره لأبنائه عن النسك.

فكان أبونا الحبيب القمص متاؤس كان ناسكاً في جميع نواحي حياته، ولكن بإفراز وحكمة واعتدال، وذلك سواء من ناحية الأكل أو الملبس أو النوم.

أما عن فضيلة الاتضاع في حياة أبينا القمص متاؤس، فقد تشبعت حياته بها وتخللت كل أقواله وتصرفاته، والتي أظهرت ما كان له من اتضاع عميق عجيب حقيقي. **وهكذا كان أبونا متاؤس** محباً لفضيلة الصمت فقد كان قليل الكلام بطبعه ولا يميل إلى الثرثرة. وعندما كان يتحدث فكلامه مملح بآيات الكتاب المقدس وأقوال الآباء. وبعد أن تكاثرت عليه الأمراض فيما بعد قل كلامه جداً. وأصبح أبونا متاؤس عظة صامتة.

وتزين أيضاً أبونا متاؤس بفضائل أخرى كثيرة: كالطاعة، وعدم محبة المديح، والهروب من المجد الباطل، وحياة التسليم والإيمان القوي، والاحتمال، والصبر، والمحبة، والسلام، وغيرها من الفضائل.

لقد أحب أبونا متاؤس فضيلة الصمت بصفة خاصة وجاهد واقتناها وأجاد فيها، حتى أصبحت فضيلة رئيسية في النموذج الرهباني الذي قدمه لنا بحياته وسلوكه.

سماته الشخصية:

كانت شخصية أبينا القمص متاؤس لها ملامح خاصة جعلت منه شخصية متكاملة منها البساطة، الاقتصاد والتدبير، النظام والنظافة، الحشمة والوقار، الالتزام والتدقيق.

صليب المرض:

كلل الرب أبانا القمص متاؤس بأكاليل كثيرة، ولكن أبرزها وأثمنها هو إكليل المرض وآلامه التي احتملها بشكر عجيب وتسليم كامل لإرادة الرب.

كانت بداية رحلة المرض مع أبينا القمص متاؤس سنة ١٩٧٦م، حينما أُكتشف أنه مصاب بالسكر، وارتفاع في ضغط الدم. وفي نفس العام أيضاً أصابت عينيه عدة أمراض منها جلوكوما، انفصال شبكي، ارتفاع ضغط العين.

وبعدها بعشر سنوات أُصيب بمرض المياه البيضاء Cataract. وفي سنة ١٩٨٧م أُجريت له عملية جراحية على أمل أن يتحسن بصره ولكن كانت إرادة الله أن يفقد بصره الجسدي لتنفتح عينا قلبه على المناظر الروحانية والاستعلانات السماوية كما سنرى فيما بعد.

وفي أوائل شهر ديسمبر عام ١٩٩٦م أُصيب أبونا القمص متاؤس بجلطة في الناحية اليمنى من المخ، نتج عنها شلل نصفي في الناحية اليسرى. ومنذ هذا الوقت وبدأت حالة قدسه الصحية تسوء. وتزايدت عليه الأمراض بكثرة، كان أكثرها صعوبة حدوث جلطات في القلب وهبوط مزمن بعضلة القلب، ومياه على الرئتين، وتصلب في الشرايين، وانزلاق فقري، وفتق إربي وفتق سرة، وحصوات في الكلى ... وغيرها من أمراض يصعب حصرها هنا.

ولكن الله الرحوم بعد أن رأى احتمال أبينا الحبيب القمص متاؤس لصليب المرض بشكر، فتح له كنوز سمائية ومواهب روحية كثيرة منها الشفافية الروحية وعمل المعجزات. ويشهد على تلك المواهب أبناؤه من الرهبان ومن كانت لهم صلة بقدسه.

كما صارت له علاقة وطيدة مع بعض القديسين، كانت على رأسهم القديسة العذراء مريم، الذي كان يحبها ويتشفع بها دائماً. وكان كلما ذكر

اسمها في محضره كان يُعطيها السلام قائلاً: "سلام الرب عليها تشفع فينا". وكثيراً ما كانت تظهر لقدسه وتعزيه. أيضاً كان لقدسه علاقة وطيدة مع المتنيح قداسة البابا كيرلس السادس إذ كان يظهر له ويعزيه في آلامه المرضية.

نياحته:

بعد كل هذه المعاناة الشديدة التي تحملها أبونا القمص متاؤس بشكر، أراد الرب أن يُريحه من أتعاب هذا العالم الفاني. وذلك بأن ساءت حالته الصحية يوم الخميس الموافق ٢٠٠٨/٢/٢١م، ونُقل في الحال إلى مستشفى الحياة بمصر الجديدة، وأُجريت له الفحوصات والأشعات والتحاليل اللازمة، والتي أظهرت نتائجها تردي الحالة الصحية لأبينا القمص متاؤس، والتي كانت تتدهور من سيء إلى أسوأ.

وفي صباح يوم الأحد ٢٠٠٨/٤/٦ كانت حالة أبينا القمص متاؤس حرجة للغاية، وفي عصر هذا اليوم حضر إلى غرفة أبينا متاؤس الأطباء المعالجون له، وأقروا عجزهم الكامل عن عمل أي شيء تجاه حالة أبينا القمص متاؤس. وبناء على ذلك تم تجهيز سيارة إسعاف لعودة أبينا المحبوب إلى الدير، وكان ذلك في تمام الساعة السابعة مساءً.

ولما وصلت سيارة الإسعاف إلى الدير، حمل أبونا متاؤس إلى قلايته المحبوبة وتوافد جموع الآباء الرهبان لأخذ بركته وتوديعه الوداع الأخير. وفي الساعة العاشرة والنصف أي بعد دخوله قلايته بساعتين تقريباً، شاهد أحد الرهبان الذين كانوا يقفون حوله في تلك اللحظة، نوراً روحانياً يشع من وجه أبينا القمص متاؤس ثلاث مرات، وبعدها انطلقت روحه الطاهرة إلى السماء في هدوء وسلام وسط تهليل السمائيين. وفي نفس هذه اللحظة توقفت ساعة يده عن الحركة.

ثم بعد ذلك تم تكفينه بالملابس الكهنوتية والبُرنس، وحمله أولاده الرهبان على أعناقهم من قلايته المنفردة إلى كنيسة المغارة بالدير الأثري، وحضر جثمانه الطاهر صلوات التسبحة والقداس وقرئ أيضاً سفر المزامير وإنجيل القديس يوحنا. وفي تمام العاشرة بدأت صلوات التجنيز وبعد كمالها تسابق أولاده الرهبان في حمله على أعناقهم، وطافوا به الهيكل والكنيسة ثم توجهوا إلى طافوس الدير حيث وضعوا جسده الطاهر في طافوس جديد لم يُدفن فيه أحد من قبل. بركة صلواته فلتكن معنا جميعاً. آمين.

الفصل الثاني

مناظرات روحية

مع الراهب القمص

متاؤس السرياني

الفصل الثاني

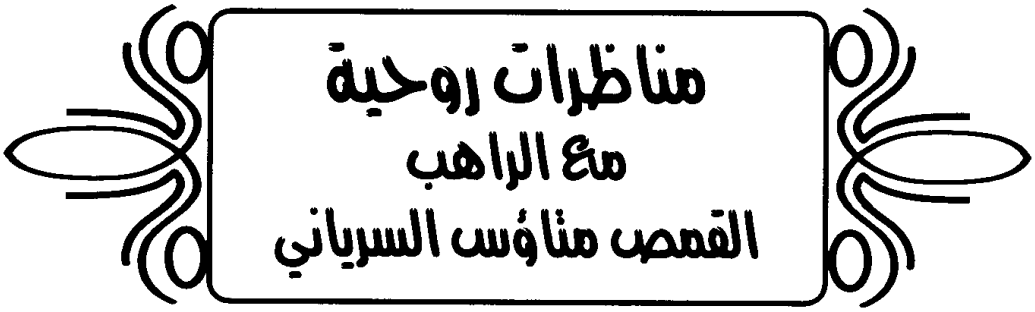

في منتصف القرن العشرين وبالتحديد في عام ١٩٤٩م، برز من بين رهبان دير السريان **الراهب القمص متاؤس السرياني**، الذي عُرف عنه الجدية والالتزام في حياته الرهبانية مع محبته الشديدة لها وثباته القوي في الحياة الديرية، كما ظهرت بوضوح أبوته واتجاهاته الرهبانية الأصيلة. ولذلك فقد التف حوله مجموعة من الإخوة طالبي الرهبنة مع بعض الرهبان الجُدد راغبين الدخول تحت أبوته والتلمذة على تعاليمه وإرشاداته، لا سيما بعد أن عُرف اتجاهه المعتدل في التدبير الرهباني، وميله للطريق الوسطى. وبعد وقت قصير تزايدت أعداد الرهبان وطالبي الرهبنة الذين أحبوا الانضمام إلى كنفه واختياره أب اعتراف لهم.

ومن بعد غروب كل يوم اعتاد أولاده الرهبان أن يذهبوا إليه في قلايته المنفردة بحديقة الدير ويقضوا معه وقتاً روحياً يسمعون منه التعاليم والمبادئ الرهبانية التي عاشها الآباء الأُول. وأيضاً عن فضائل الآباء الشيوخ المعاصرين الذين تنيحوا. وفي أحيان أخرى كانت الجلسة تتطرق إلى مواضيع رهبانية كالمحبة والاتضاع وإنكار الذات ... أو الإجابة على الأسئلة التي توجه إليه من الرهبان والإخوة الملتفين حوله. وإن حدث سكوت لفترات قليلة أثناء الجلسة كان ينطق بكلمات سهمية مثل قوله: "وأعظمهن المحبة"، "الحياة الرهبانية حلوة ... حياة بلا هم"، "الحياة الرهبانية هادية وجميلة"، "الراهب هو أسعد إنسان على

الأرض"، "الطريق الرهباني يسموه الآباء الطريق الملوكي". وكانت هذه الأقوال وغيرها مشجعة لكثيرين ومثبتة لهم في الطريق الرهباني. وكان ينصح أولاده الرهبان بالسلوك السليم والابتعاد عن بعض التصرفات الغير سليمة. مثال لذلك كان يحثهم قائلاً: "انحني على يد أخيك وقبلها"، "لا تُسلم على أخيك في الكنيسة وأنت جالس"، "لا تتكلم مع أحد في الكنيسة، ولا تخرج منها إلا للضرورة"، "ضروري جداً للراهب أن لا يفوت حضور التسبحة والغروب وقداس يوم الأحد"، "يجب طاعة المسئول واحترامه"، "اللي بيتعب في المكان قديسي الدير بيمسكوا فيه" ... وغيرها من تعاليم وملاحظات كان يوجهها لأولاده في مثل هذه الجلسات.

حقيقة لا أحد من أولاده يستطيع أن ينكر مدى تأثير كلماته وتعاليمه الرهبانية وفاعليتها في تشكيل تكوينه الرهباني الصحيح. ونرجع هذا إلى ثلاث أمور أساسية: الأولى هى استناد تعاليمه وأقواله إلى روح آباء الرهبنة الكبار، لذا كانت مماثلة تماماً للفكر الرهباني الأصيل، ولم تخرج عن المنهج الآبائي الذي وضعه وعلمه الآباء أمثال القديس الأنبا أنطونيوس، والقديس مكاريوس الكبير ... وغيرهم.

أما الأمر الثاني فيرجع إلى المعايشة والخبرة الحية للأقوال والتعاليم التي كان يلقنها لأولاده الرهبان.

أما الأمر الثالث فيرجع إلى عمل الروح القدس فيها من خلال روح الأبوة التي كان يغدق بها على أولاده، وروح المحبة التي ألفت بينه وبينهم جميعاً.

من أجل كل هذا رأى أولاده الرهبان أنه من الواجب عليهم حفظ هذه الأقوال والتعاليم النافعة، التي تعلموها من أبيهم القمص متاؤس السرياني، لكي ما تنتفع بها الأجيال القادمة. فقمنا بتجميعها متمثلين بالرحالة الأجانب الذين

وفدوا من بلادهم لزيارة الآباء الرهبان في مصر وبخاصة في الإسقيط في غضون القرن الرابع الميلادي، إذ كانوا يطوفون عليهم في القلالي والمغائر، ويسألونهم عن كلمة منفعة، أو يستوضحون منهم عن التعاليم الرهبانية، وأمور كثيرة أخرى تتعلق بحياتهم الرهبانية. وكانوا يقومون بتدوين كل ما يسمعونه من أقوال وتعاليم وفضائل وجهادات آباء البرية. ونذكر من بين هؤلاء روفينوس الذي جمع ما دونه في كتاب تاريخ الرهبان المصريين The Historia Monachorum in Aegypto، ويوحنا كاسيان جمع ما دونه في كتاب المجامع أو المؤسسات الرهبانية The Institutes، والمحادثات The Conferencess، وبلاديوس جمع ما دونه في كتاب اللوزياكي The Lausiac History وينضم لهؤلاء مجموعة كبيرة لا نستطيع حصرها، حفظت لنا أقوال وتاريخ آبائنا الرهبان كنزاً ثميناً لهم وللأجيال التي أتت من بعدهم.

واستكمالاً لعملهم العظيم الذي قاموا به، وحفاظاً على تراثنا الرهباني الحديث قمنا بتجميع مادة هذا الكتاب في صورة مناظرات دارت بين مجموعة من الرهبان وأبيهم القمص متاؤس السرياني، وقد اقتبسنا معظمها من أقواله وتأملاته المطبوعة في كتاب: "**صاحب البصيرة الروحية**" أتركك - قارئي العزيز - مع هذه المناظرات الروحية، لعلك تجد فيها اشتياقات قلبك، التي كنت تسعى إليها كي ما تشبعك من دسم روح الآباء الذي لا غش فيه عن أصول الحياة الرهبانية.

❖ سأل راهب أبانا متاؤس السرياني قائلاً:

متى يبدأ الراهب في وضع أساس حياته الروحية؟ وما هى مقومات نموها؟

أجابه الشيخ قائلاً:

إن أساس البنيان الروحي والأخلاقي السليم هو في زمن الشبوبية حيث يتأصل الإنسان في التقوى. ممارساً عملياً جميع الفضائل بأنواعها وبذلك يحصد في شيخوخته ثمرة بره.

كما أن الشجرة تنمو هكذا النفس تنمو. نمو النفس في السكون والهدوء كما قال مار إسحق: "إن أنت سكنت في القفر أفكار القفر تحدث لك وإن خالطت كثيرين أفكار كثيرين تحدث لك".

ليس نمو النفس قاصراً على هذه الحياة فقط بل هناك في الحياة الدائمة تنمو النفس أيضاً.

❖ وسأله آخَر قائلاً:

كيف أنجو من قتال الزنا؟

أجابه الشيخ قائلاً:

قال معلمنا بولس الرسول: "اهربوا من الزنا". حينما نُقاتَل بألم الزنا ونشعر أن هنالك أسباباً خارجية هى مادة هذا القتال أو بالحري مسبباته، ليس ثمة علاج سوى الهروب. لقد هرب يوسف العفيف ونجا فانتصر. وإن كان في الهروب ترك لما نملكه، وربما سبب ذلك لنا

الطرح في السجن ظلماً، فلا بد أن تدور الأيام دورتها ويحررنا الحق الذي أحببناه والطهارة التي ينبغي لنا أن نُجاهد من أجلها حتى الدم. ونحن عالمون أن أجسادنا هى أعضاء المسيح فكيف أجعل أعضاء المسيح أعضاء زانية.

إذن فالعلاج الوحيد لألم الزنا (هو قطع العلل الخارجية) بالهروب وعدم التواطؤ مع الفكر.

هذا علاج مختصر لنوع واحد من محاربات الزنا وهو الأسباب الخارجية.

❖ قُلْ لي يا أبي:

كيف يستفيد الراهب من زيارات النعمة؟

فجاوبه قائلاً:

هناك زيارات من النعمة في فترات تكون واضحة جداً وبقوة في نواحي عديدة في الروحيات يستطيع أن يفرزها الراهب المستيقظ الراصد لحركات الروح في داخله.

فالراهب الحكيم يستطيع أن يُتاجر في الوقت المناسب ليكسب الدرة الثمينة. في هذه الفترة ينبغي أن يتمسك الراهب جداً بالوضع الذي يشعر بعمل النعمة فيه ولا يتزعزع مهما كانت الظروف المحيطة به. ويسير باتكال على الرب فربما كانت هذه هى الطريق التي يُريدها له الرب ليُكمل جهاده فيها برضاه. فالروح الواحد الذي يعمل في الكثيرين منه يستفيد الجميع لخلاص أنفسهم ولخير الكنيسة الجامعة المقدسة الأرثوذكسية، أمنا المحبوبة. حقاً ما أجمل تعاليمها وما أسمى دعوة الرهبنة المكنوز فيها ذخائر روحية عجيبة. طوبى لمن سلك في طقسها متمماً قوانينها بدقة. كتعاليم العظماء الأوائل: الأنبا أنطونيوس، والأنبا باخوميوس، والأنبا شنوده، وأبو مقار، سلام لأرواحهم الطاهرة.

❖ أخبرني يا أبي:

كيف ننجو من خطية الإدانة؟

فتنهد وقال له:

كثيرون يقولون فلان متواضع وفلان متكبر، فلان محب وفلان غير محب، فلان مطيع وفلان غير مطيع.

لماذا هذا يا إخوتي؟ لينظر كل منا إلى نقائصه، انظر الخشبة التي في عينك ولا تدينوا فلا تدانوا وحاشا لي من قبل الرب أن أتعرض للناس في أقوالهم وأفعالهم لأننا جميعاً سنقف أمام ديان واحد عادل.

فقط هنا أود أن أنذر نفسي الشقية المملوءة بالخطايا والآلام والضعفات والأوجاع لعل الرب ينظر لمسكنتي ويشفي انكسار قلبي.

❖ قُلْ لي يا أبي:

من هو المتواضع الحقيقي؟

أجابه الشيخ قائلاً:

ليس هنالك متواضع حقيقي سوى يسوع المسيح الإله المتجسد إذ وأنه واحد مع أبيه في المجد تنازل من علو سماه وأخذ ما لنا وأعطانا ما له. سر يفوق العقول.

أما إذا وصف إنسان بهذه الصفة (التواضع) حسب رأيي أنها ليست حقيقية للطبيعة البشرية وكيف للتراب أن يتواضع؟ التراب من الأرض أُخذ فهل إذا نظره إنسان يظن أنه لآلئ ثمينة وجواهر غالية القيمة؟! حاشا وكلا. إنما أردنا أن نُعبر عن صفة لا حقيقة والحقيقة هي في الإنسان الكامل يسوع ابن الله.

❖ أخبرني يا أبي:

كيف تتصل النفس بخالقها بدون عائق؟

فنظر إليه وقال:

ما أكثر الفخاخ المنصوبة في الطريق الروحاني ... المتضعون يفلتون منها. فلكي نصل، أو بالأحرى لكي تتصل النفس بخالقها بدون عائق وتتحد به تماماً، يلزم أن تتطهر من الإنسان العتيق... ولكي تتنقى لا بد لها أن تدخل كور التجارب ثم تنتظر بعد ذلك افتقاد النعمة. فليس عمل الإنسان هو كل شيء إنما ما نقدمه أمام الرب من تذلل بأنواع النسك والتقشفات ما هو إلا لنجتذب رحمة الرب إلينا ونستدر عطفه وحنانه علينا ... ولكن أعظم الجهادات والإماتات لا تفي حق أصغر الخطايا. إذاً ليس لنا سوى الإيمان القوي الثابت في أن نتطهر بالدم الزكي المسفوك لأجل الخطاة.

❖ سأل أخ أبانا متاؤس السرياني قائلاً:

هل جيد للراهب المبتدئ أن يطلب الثمار الروحية بسرعة؟

أجابه الشيخ قائلاً:

إذا كان السيد المسيح له المجد قال مثلاً عن حبة الحنطة: "إن لم تقع في الأرض وتمت لا تأتي بثمر". فما بالنا في هذه الأيام نطلب الثمر قبل ازدهار الورق. وهكذا نرى النتيجة للثمر السريع أن يكون مصيرها الجفاف.

وكيف تستطيع الشجرة التي يبذل الكرَّام مجهوداً كبيراً في ريها ووضع السماد حولها وتقليمها وهي في طريقها للنمو ثم نلزمها أثناء ذلك أن تُعطينا ثمراً ناضجاً شهياً للأكل في حين أنها هي ذاتها لم تنضج بعد.

❖ سأل راهب قائلاً:

ما هو حد العطاء؟

أجابه أبونا متاؤس السرياني قائلاً:

فما أكثر ما ينسى الإنسان الإحسان! لذلك نحتاج دائماً إلى تذكير أنفسنا بأننا مديونين لله من أجل محبته الفائقة وعنايته بنا ومعاملاته اللطيفة معنا إذ لم يؤاخذنا باستحقاقنا وأغدق علينا من تعطفاته الجزيلة الشيء الكثير.

كذلك علينا دين لإخوتنا في المسيحية فما أعطاني إياه الرب من مواهب أو مال أو عمل أو خيرات هي ليست ملكي، إنما هي لكنز الصالحات جعلني عليها أميناً لأوزعها على محتاجيها من أبنائه. فكل شيء من يده أخذنا وإليه نعطي. لذا أعطِ بسخاء مما أعطاك الله فيزيدك الله من عطاياه.

❖ أخبرني يا أبي:

ما هي رؤيتك لهذا الجيل الصاعد هذه الأيام، وما هي احتياجاته الرهبانية؟

فنظر إليه وأحبه وقال له:

هذا الجيل يتروحن ولكن لن يصل إلى الروحانية الحقيقية لأنه يصنعها ويتصنعها بذاته.

فهو لا يحتاج إلى مواعظ وتعاليم ملقنة أو مقروءة بقدر ما يحتاج إلى تجارب وضيقات عملية يجتازها بنفسه لتمحيصه وانفتاحه لواقع الحياة ثم نضوجه فكرياً وروحياً ليحيا الحياة السوية بدون شطط في الخيال والآمال.

❖ سأل أب قائلاً:

ما هو مفهوم القداسة الحقيقية في نظرك؟

أجابه أبونا متاؤس السرياني قائلاً:

ما أجمل القداسة التي تخرج من كور التجارب وبوتقة الآلام مثل الذهب المُصفى أما تلك التي لها مظهر القداسة البراق الناتجة عن رقة وحساسية وآداب في اللفظ أو المعاملة فعليها خوف كثير.

❖ قُلْ لي يا أبي:

لماذا أشعر بثقل اليوم وشدة الحرب؟

فأشفق عليه الشيخ قائلاً:

الراهب العَمَّال في طريق التوبة والعبادة هو الذي يقضي يومه **ليس كأجير** يحسب يومه بالساعة وحياته بالأيام، **بل كابن** يحيا ويعمل مع أبيه (في ضوء الوصية) وبذلك لا يشعر بثقل اليوم أو شدة الحرب. وهذا ما عاشه آباؤنا القديسون في البراري فكانت السنين الطويلة عندهم كأيام قليلة.

❖ أخبرني يا أبي:

من أين يحصل الراهب على العزاء الروحاني؟

أجابه الشيخ قائلاً:

الراهب العمَّال هو الذي يستطيع أن يكتشف الكنز الذي بداخله لأن فيه ذخيرة حية فعالة فيها عزاء وغذاء روحي لا ينضب معينه لنموه الروحي.

❖ ثم سأله راهب آخَر قائلاً:

ومن هو الشهيد الحقيقي؟

فأجابه قائلاً:

الشهيد الحقيقي هو المجاهد بنشاط ومثابرة في نطاق دعوته القانونية دون خداع ومخاتلة بل من القلب لله وليس للناس.

❖ سأل راهب أبانا متاؤس السرياني قائلاً:

كيف يسعى الراهب في طلب الله؟

فتحنن عليه وأجابه قائلاً:

الراهب الذي يسعى في طلب الله بجد واجتهاد واستقامة قلب. عليه أن يحتمل الظلم والمعيرة والازدراء والاحتقار والإهانة. وبالإجمال كل ما أصاب ربنا على الصليب ليس من الخارجين عن

الإيمان فقط بل ربما من الأحباء أيضاً، أما إذا قبل الكرامة والتمجيد وطلب التقدم والترأس أو تذمر على ما يُلاقيه من ضيق فليعلم إن تعب جهاده باطل.

❖ سأل راهب أبانا متاؤس السرياني قائلاً:

هل عدم وجود الآباء الشيوخ في المجامع الرهبانية له تأثير على الرهبنة؟

فنظر إليه وأجابه قائلاً:

المجمع الرهباني الذي لا يوجد به شيوخ عمَّالين في الفضيلة من الصبوة إلى الشيخوخة داخل أسواره، الرهبنة فيه عاقر.

❖ سأل أخ أبانا متاؤس السرياني قائلاً:

هل هناك خطورة من تشابه التعاليم التي تلقى على العلمانيين والرهبان؟

أجابه الشيخ قائلاً:

هناك خطورة كبيرة حينما تندمج التعاليم التي تُلقَى على العلمانيين في العالم وتُلَقن للرهبان سكان البرية. معنى هذا خلط بين الطريقين، يُوجد انفصام في شخصية الراهب لأن كل منهما له تدبيره الخاص وحياته المستقلة عن الآخَر.

❖ سأل راهب قائلاً:

ما هى رؤيتك لهذا الجيل الرهباني؟

أجابه أبونا متاؤس السرياني قائلاً:

جيل ضعيف في الفضيلة والعبادة والحياة الرهبانية وسيظل طول عمره في هذا الضعف الروحي إذ يحب ويتجاوب مع من يشاركه أحاسيسه الرهيفة ونظره القصير وسطحية أفكاره، وإذ يتجنب المتاعب والمصاعب في الجهاد لذلك يقف على هامش الواقع متخيلاً الوصول إلى الحقيقة ولكنه أخيراً يشعر أنه واقف على أرض رخوة ومن يدري ربما تنهار تحته فيهوى إلى الحضيض.

❖ زار راهب أبانا متاؤس السرياني وقال له:

أعلمني يا أبي عن ما هو مستوى المعيشة التي ينبغي أن يكون عليها الراهب في الدير؟

أجابه الشيخ قائلاً:

الراهب الذي لا يكون مستوى معيشته بعد الرهبنة أقل مائة مرة مما كان عليه في العالم لا يستحق أن يأخذ عوض ما ترك مائة ضعف كوعد السيد المسيح له المجد. وهكذا عاش أولاد الملوك وأرسانيوس العظيم كقول بولس الرسول: "**خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وأنا أحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَي أربَحَ المسِيح**" (في ٣: ٨).

❖ سأل راهب أبانا متاؤس السرياني قائلاً:

ما تأثير دخول علم النفس والفلسفة في الحياة الرهبانية؟

فأجابه قائلاً:

حينما يدخل علم النفس والفلسفة في الحياة الرهبانية يفسدها تماماً كما يفعل السوس في الخشب وكفعل الصدأ في الحديد لأن الرهبنة بُنيت على البساطة والإيمان يُغذيها والرجاء يقويها والمحبة تُشددها.

❖ سأل أب أبانا متاؤس السرياني قائلاً:

يأتي العلماني إلى الرهبنة من العالم إلى الدير وفي قلبه أشواق كثيرة وآمال في الطريق وحرارة وغيرة ونشاط في العبادة وخدمة الجميع وما يلبث شهوراً أو سنوات قليلة وينطفئ كل هذا. وحين يُعرض عليه أي خدمة في العالم بأي نوع يستجيب وإن كان يتردد أحياناً. فما السبب في ذلك؟

فسكت قليلاً وقال له:

السبب القوي والواضح هنا هو أنه لم يتشبع بالروح الرهبانية السليمة منذ ابتداء دخوله الدير ولم يجد الشيوخ المحنكين العمّالين في الفضيلة المجاهدين حقاً ليتسلم منهم الروح لأن الرهبنة

هـى سـر، لـذلك خـدع نفسـه أو خُـدع مـن مدبريـه بفضـائل إنجيليـة اكتفـى بهـا ولم يُطعمها بروح آباء البرية بطريق سَوْي مُملحاً بنعمة روحانية منبثقة من تعاليم شيوخ الرهبنة السابقين والمعاصرين بإفراز وتقوى وموت حقيقي عن العالم.

❖ قُلْ لي يا أبي:

ما هى الفضائل التي تحفظ ثـمـار الراهب الروحية؟

أجابـه أبونا متاؤس قائلاً:

الغـلاف الـذي يحفـظ الثمـرة بالنسـبة لـنفس الراهـب هـو **المسكنة** نعني بها الاتضاع وإنكار الذات وأن يكون الإنسان غير محسوب ولا معروف عند الناس وهذا يؤكد قول السيد المسيح في علامة تبعيته. ينكر ذاته ويحمل صليبه ولأن الفضيلة إذا اشتهرت بطُلت **لذلك يلزم الراهب أن يكون مجهولاً من الجميع حيث لا كرامة ولا مديح ولا اعتناء يوجه له حينئذ يضمن لنفسه أن تكون مستورة ومحفوظة من مجد هذا العالم الزائل.**

❖ ثم سأله راهب آخَر قائلاً:

ومـا هى سمات الراهب الحقيقي؟

فنظر إليه وقال:

تستطيع أن تعرف الراهب الحقيقي الطالب الله بقلبه من بحثه وتفتيشه عن الطريق وكثرة أسئلته ومشاورته والتصاقه بمن سبقوه

وعاشوا ذات الحياة. أما الراهب الذي يعيش بهواه فهناك خطورة كبيرة على نموه الروحي ... هكذا قال الرب "**قِفُوا على الطُّرُق وانظُرُوا، واسألُوا عن السُّبُل القديمة: أين هُو الطَّريقُ الصَّالحُ؟ وسيرُوا فيه، فتجدُوا راحةً لنُفُوسكُم. ولكنَّهُم قالُوا: لا نسِيرُ فيه!**" (إر ٦: ١٦).

وقال مار إسحاق: "**لتكن مُناجاتك مع مُحبي الخير لتكون سُكناك معهم في العلاء. لأن الذي استضاء هو يُضيء لقوم آخرين**".

❖ سأل راهب أبانا متاؤس السرياني قائلاً:

ما هو تأثير الجو الروحي على حياة الراهب داخل الدير؟

أجابه الشيخ قائلاً:

من ثمار الحياة التعبُدية الرهبانية الثبات مع الصبر في موضع واحد لأنه كلما زاد تيار النعمة في نفس الراهب وعملت معه قوة الرب كلما غاص أكثر في أعماق روحية. كل هذا يتوقف على الجو المحيط به والتربة التي ينمو فيها وهى الأبوة والأخوة والصحبة التي يتعامل معها ويعيش بينها.

فالمناخ الروحي المُشَبع بالمحبة والألفة والسلام يُفرخ قديسين إذ يبعث فيهم اجتهاداً ونشاطاً وشوقاً بلا ملل ولا قلق إلى أفاق بعيدة المدى.

❖ بماذا تنصحني يا أبي:

هل عليَّ أن أقبل إذا فرض عليَّ أب يعهد برعايتي ويهتم بروحياتي دون إرادتي؟

فنظر إليه وقال:

من حق الناس أن يختاروا الشخص الذي يثقون به ويطمئنون إليه ويعهدون إليه بروحياتهم يرعاهم ويهتم بها. والله نفسه يحب هذه الحرية ولا يُرغم إنساناً على أمر ضد إرادته - ولا يسيره على الرغم منه حتى ولو إلى الخير.

❖ ثم أردف سؤاله بسؤال آخَر قائلاً:

ما هي صفات أب الاعتراف؟

فنظر إليه الشيخ وأحبه وقال:

يشترط في أب اعتراف الراهب أن يكون:

طبيب روحاني: (له خبرة بأمراض النفس والروح).

قائد روحي: (له خبرة وحنكة في حرب أعداء الروح).

أبوة كل ما تشمل هذه الكلمة من عطف وحنان كما يدخل فيها أيضاً الرعاية ولنا بذلك المثل الأعلى السيد المسيح له المجد. وكوصيته أن الراعي الصالح يبذل نفسه عن الرعية ويكون مستعداً للتضحية.

❖ سأل راهب قائلاً:

ماذا أفعل فقد يصيبني الضيق والضجر من حمل الصليب؟

أجابه أبونا متاؤس قائلاً:

أنواع الصلبان كثيرة منها ضيقات نفسية وأمراض جسدية. اضطهادات محاربات بكل نوع وصنف **وكل إنسان له صليبه فليحمله بصبر وسكوت وخشوع إلى أن تسمح النعمة وترفعه عنه ولكي يأخذ إكليله كاملاً** لذلك دُعي آباء الرهبنة بحاملي الصليب. فما أجمل أن يحمل الراهب صليبه الذي وضعه عليه الرب لأن به وبواسطته يدخل الملكوت كما حدث مع السيد المسيح نفسه إذ أنه عن طريق الصليب كانت القيامة وكانت النصرة (وأخيراً وُضع لي إكليل البر).

❖ سأل أب أبانا متاؤس السرياني قائلاً:

دبرني يا أبي، ماذا أفعل فقد أتذمر إذا ما رأيت أموراً كثيرة لا تعجبني؟

فتنهد الشيخ وقال:

إن الرب يحمل خطايا البشر ولكنه لا يحتمل إنساناً يتذمر. فالتذمر معناه عدم الرضى بما قسمه الله من نصيب لكل واحد، وأيضاً المتذمر يُعتبر معارضاً لله في مشيئته وغير خاضع لإرادته تعالى، وكأنه يريد أن يُشارك الله في تدبيره.

❖ قُلْ لي يا أبي:

من أين تحصل النفس على الشبع الحقيقي والتعزيات؟

أجابه أبونا متاؤس قائلاً:

يسوع هو الباب. من وجده خلُص، ومن دخل إلى الأعماق وغاص في البحر الذي لا قرار له وجد من التعزيات الفياضة ما لا يستطيع اللسان أن يُعبر عنها.

فيه ترتع نفوس محبيه هو ربيعها في خلوتهم وفي تأملاتهم في من أحبوه أعطوا أن يعرفوا أسرار ملكوت الله فسكروا بحبه. نسوا الجسد وما له، وارتفعت لا عقولهم، بل نفوسهم الناطقة وهناك قرعت الباب فقام العريس مسرعاً ليستقبل عروسه من شدة حبه لم يستطع أن يتمهل. إنه ينتظر تنهدة واحدة. هنالك شبعت وارتوت (أي النفس) من النبع الحي الذي لا ينضب. قال لها المحبوب ماذا تطلبين؟ أبركة قولي؟ (**إلى الآن لم تطلُبوا شيئاً بِاسمِي**) منه أخذت بعد أن خلصت ودخلت فخرجت وأعطت، بل أفاضت على الكثيرين من كنز الصالحات.

❖ أخبرني يا أبي:

لماذا يصيبني الخوف والاضطراب في أحيان كثيرة؟

أجابه الشيخ قائلاً:

حينما يكون الإنسان بعيداً عن يسوع يكون في خوف واضطراب... القلب الفارغ الذي لم يملك عليه يسوع كسفينة في مهب الرياح ...

ولكن حين نفتح الباب للذي واقف ويقرع نقبله فيدخل، وللوقت أي في الحال نصل إلى ميناء السلام والطمأنينة.

❖ سأل راهب أبانا متاؤس السرياني قائلاً:

كثيراً ما نتمثل بجهادات آبائنا الأوائل ونتشبه بأعمالهم، ومع ذلك لم نصل إلى ما وصلوا إليه فما هو السبب؟

أجابه قائلاً:

كثيراً ما نفتر نحن في أنفسنا ونحاول التمثل والتشبه بهم وبأعمالهم ليس إلاَّ! ونسينا بل تناسينا أن أولئك الأبطال الجبابرة في حرب الأعداء الخفية كان مقصدهم وهدفهم وغرضهم الأسمى في حياتهم هو "المحبة".

المحبة ما أعمقها وإن كانت صغيرة في حروفها إلا أنها هي الحياة بجملتها. التي لا يستطيع كُتَّاب وعلماء العالم أجمع حتى والروحانيون أيضاً أن يحصروها في عقولهم أو أن يسطروها بأقلامهم. فالمحبة هي "الله" ومن يقدر أن يحد الله أو أن يتكلم عن الله لأن "الله محبة".

هؤلاء احترقت قلوبهم بالمحبة واشتعلت نفوسهم بمحبة يسوع فالتهبوا في أعمالهم وانطبقت عليهم الآية: "**مَنْ لَهُ سَيُعْطَى وَيُزَادُ**".

❖ سأل أخ أبانا متاؤس السرياني قائلاً:

لماذا يشعر بعض المجاهدين في أحيان كثيرة بالخوف والقلق والحيرة، وأحياناً بالشك في طريق جهادهم نحو الله؟

فنظر إليه بعطف وقال:

من يستطيع الوصول في هدوء ويقوم ثابت دون انحراف؟ هو ذلك الشخص الذي لا يعبأ بما حوله من مخاوف ولا بما داخله من شكوك... ما دام مطمئناً تمام الاطمئنان أنه سائر إلى الهدف دون غرض. فلا شيء يعيقه ولا شيء يخيفه. فإن قامت عليه حروب ففي داخله سلام بل غالباً ما يحدث العكس، فإذا رأى أن النور الذي يشرق في داخله ينطفئ والتعزيات الداخلية تقل، ويضحَى هو كما في ظلام دامس يتحسس بصيصاً من الضوء فلا يجد، ولكنه رغم كل هذا في داخله اطمئنان دائم أنه سائر نحو الغرض الأسمى (الله).

وهكذا ينطبق على هذا الإنسان (الراهب) المثل القائل: "أن السلحفاة وصلت إلى قمة الجبل قبل الأرنب". قال أحد القديسين: "إني أُحب العمل الخفيف الدائم أكثر من عمل شديد في بدئه لا يلبث أن ينقطع سريعاً"، وقال العظيم في العارفين: "العمل الدايم - ولو أنه قليل - كنوز عظيمة يُربي، لأجل دوامه".

ما أعظم مراحم إلهنا وما أكثر جوده. حاشاه تعالى أن يتخلى عن عبيده الطالبين إياه والخاضعين لمشيئته "**نظَرُوا إِليهِ واستَنَارُوا، ووُجُوهُهُم لَم تَخجَل**" (مز ٣٤: ٥).

❖ وسأله آخَر قائلاً:

هل إذا اختلطت صلاتي بأفكار غير إلهية يرضى بها الله ويقبلها؟

أجابه أبونا متاؤس قائلاً:

إذا كان القلب هو المذبح. وكما أمر الرب موسى أن يُقدم مُحرقات على المذبح وهذه المحرقة لا تكون إلا من الحيوانات الطاهرة، أما الحيوانات النجسة فقد حرَّم الرب تقديمها محرقة على مذبحه المقدس، وذلك ليشتم رائحة التقدمة فيرضى على الإنسان ويستجيب طلباته.

كما حصل لنوح بعد الطوفان، أول عمل عمله بعد أن خرج من الفلك هو أنه أخذ من الحيوانات الطاهرة وأصعدها محرقة للرب فاستحق أن يسمع من الله الميثاق بعدم إغراق العالم دفعة أخرى.

كذلك في الصلاة. إذا ما صلينا من قلب طاهر كانت صلاتنا ذبيحة وبخوراً طاهراً صاعداً لدى عزته الإلهية. أما إذا اختلجت الصلاة بأفكار غير إلهية إنما بذلك نكون قد قدمنا ذبائح غير طاهرة (نجسة) على مذبح الله.

قَبِل الرب ذبيحة هابيل ولم يرض عن ذبيحة قايين.

❖ سأل أب قائلاً:

ماذا نعمل إذا أردنا أن نكون في حضرة الرب دائماً، ونشعر بحضوره بل وثبوته الدائم معنا وفينا؟

أجابه أبونا متاؤس قائلاً:

علينا بتتميم وصاياه وعمل مرضاته إذ أنه يحل في أطهار النفوس وأنقياء القلوب. هذه هي السعادة التي لا تُقاس بشيء

ولا يُعبر عنها. ما أحوج الراهب أن يكون لديه شعور وإحساس داخلي عميق بحضور الرب الثابت معه يجري حديثه معه سراً ولا رقيب فأينما كان يجعل قلبه معملاً لا يهدأ ولا يفتر عن ترديد الاسم المحبوب وطلب رحمته ومعونته والتأمل في إحساناته الكثيرة وأعماله العديدة حتى يشمل الحياة بكليتها ويكون الرب هو الكل في الكل ويستطيع أن يقول: "**هُو معي، ولم يترُكني الآبُ وَحدي**" (يو ٨: ٢٩).

❖ سأل راهب أبانا متاؤس السرياني قائلاً:

كثيراً ما نرى الأشرار وإذ هم يرتعون في بحبوحة من العيش، متمتعين بجميع مسرات هذه الحياة، وهم يزدادون ويتأصلون في الأرض وتقوى شوكتهم كعجول مسمنة للذبح، بينما نرى أولاد الله متضايقين فلماذا يتركهم الله هكذا؟

فتنهد الشيخ وقال له:

نحن نعلم أن الله حاكم عادل، ومطلع على كل شيء. إذ أنه في يديه نفوس جميع بني البشر كل حين. فإنما هو يُطيل روحه عليهم حتى إذا فاض مكيالهم يحصدهم حصداً، ويأتي بهم إلى الدينونة المخيفة حيث نارهم لا تطفأ ودودهم لا يموت وهناك يجتنون ثمرة شرهم وبعدهم عن الله.

❖ قُلْ لي يا أبي:

ما الذي تتطلبه الأمانة من الراهب وما هى حدودها وأهميتها؟

أجابه أبونا متاؤس قائلاً:

ما أحوجنا نحن الرهبان أن نكون أُمناء - فالأمانة تتطلب منا الكثير في الجهاد والمحافظة على عهد التوبة وفي الثبات وتنمية الحرارة الأولى التي دفعتنا إلى الرهبنة، وليس ذلك إلى سنين أو أيام معدودة ولكنها أمانة حتى آخِر نسمة من الحياة.

كذلك هى أمانة حتى الموت أو الشهادة. أي لو خُير الإنسان أن يرفض الإيمان بالمسيح أو النكوث بالعهد المقدس لفَضَّل أن يقدم رقبته للسيف أو جسمه لأنواع العذاب من أن يتخلى عن هدفه الذي وضعه أمامه "**ناظِرِين إِلى رئِيس الإِيمانِ ومُكمِّلِهِ يسوع**" (عب ١٢: ٢).

فموضوع الأمانة له من الخطورة والأهمية الدرجة الأولى في حياتنا إذ عليه يترتب خلاصنا، وبه نصل إلى رجاءنا، وهو الدرع القوي ضد مكائد وسلاح العدو الذي لا يكل ولا يهدأ عن محاربتنا بجميع فنون حربه.

ففي حبنا لربنا وللقريب يعوزنا كثيراً أن نكون أُمناء إلى النهاية. وفي تواضعنا ومسكنتنا في أمراضنا وظلمنا وفي شقاوتنا وضيقاتنا... الخ.

أخيراً طوال أيام غربتنا عن موطننا السماوي يلزمنا جداً أن نكون أُمناء إلى النفس الأخير.

❖ زار أحد الرهبان أبانا متاؤس السرياني وسأله قائلاً:

ماذا يعني قول السيد المسيح لتلاميذه: "ومهما سألتم باسمي فذلك أفعله ليتمجَّد الآبُ بالابن. إن سألتم شيئاً باسمي فإني أفعله" (يوحنا ١٤: ١٣ـ ١٤)؟

أجابه الشيخ قائلاً:

في شخص المحبوب يسوع نستطيع كل شيء ففي طلباتنا إلى الآب بالمسيح يسوع الذي وَحَدَنا في شخصه إذ أنه الابن الوحيد وصورة الآب ورسم جوهره وإذ لنا به قدوم بجرأة إلى الآب نطلب فنأخذ.

وكما علمنا مُعلّمنا بولس الرسول في رسائله المملوءة نعمة: "**أستطيعُ كُلَّ شيءٍ في المسيحِ الذي يُقوِّيني**" (في ٤: ١٣).

"**بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ النَّاصِرِيِّ قُمْ**" (أع ٣: ٦) وأشياء أخرى كثيرة بها نتعلم أنه ليس اسم آخَر تحت السماء أُعطي للناس به ينبغي أن نخلُص سوى اسم الرب يسوع. فبه قد صار لنا الخلاص من خطايانا بدمه الزكي الكريم وبقيامته المجيدة صارت لنا الحياة الأبدية الخالدة إلى أبد الدهور والتمتع بالأمجاد السمائية التي لم ترها عين.

إذن من يؤمن بيسوع المسيح فله الحياة الأبدية ومن لم يؤمن يُدن. بل يمكث عليه غضب الله.

فكم نحن المسيحيين مدينون لهذا الاسم العظيم. وترى ماذا قدمنا لذاك الذي أحبنا وبذل نفسه عنا لنُبادله حباً بحب. نعم لو أدركنا قيمة النعم العظمى الفائقة الوصف التي نلناها بيسوع المسيح ابن الله الحي لقدمنا ذواتنا لنموت من

أجله كل يوم كما يحق. ولكن كيف نستطيع ذلك إن لم نأخذ منه. وبذلك يكون هو العامل فينا وبنا لمجد اسمه القدوس.

❖ سأل أب أبانا متاؤس السرياني قائلاً:

ماذا أفعل فقد يُصيبني التهاون والإهمال أو الكسل والتراخي عن تنفيذ وصايا الرب المحيية؟

فأشفق عليه الشيخ وقال له:

الويل لنا نحن معشر المسيحيين وخاصة الرهبان لو قصرنا في وصايا إلهنا. قال السيد المسيح: "من نقض إحدى هذه الوصايا فقد صار مخطئاً في الجميع". كما قال أيضاً السيد المسيح له المجد: "بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً". نعم إن وصاياه ليست ثقيلة ولكن من يستطيع أن يخلُص بجهاده الخاص. فما أحوجنا إلى نعمة عظيمة وخاصة في هذه الأيام الجافة التي تعقدت فيها الحياة وكثر الشر فأعداؤنا وخاصة الخفيين محدقين بنا من كل ناحية ينصبون لنا الفخاخ بطرق عجيبة ليوقعونا في شراكهم، وبسهو بسيط منا ودون أن نعلم وإذ بالفخ ينطبق علينا ولولا مراحم إلهنا لفتك بنا أعداؤنا.

إذن ما أشد حاجتنا أن نلح ونطلب دائماً المعونة والمؤازرة من إلهنا الحنون الذي لا يشاء أن يهلك أحد منا. وذلك بأن نضع نصب أعيننا دائماً وصاياه وتعاليمه وعليه نتكل في تنفيذها "**إن أحبَّنِي أحدٌ يحفظ كلامي، ويُحِبُّه أبي، وإليه نأتي، وعِندهُ نصنعُ منزِلاً**" (يو ١٤: ٢٣).

❖ أخبرني يا أبي:

كيف نستطيع أن نحفظ أنفسنا من الخطأ، والخطية كامنة في أعضائنا؟

فنظر إليه الشيخ وقال له:

في حفظ الوصية قوة عجيبة لنوال البر الذي في المسيح يسوع. في هذا الاسم العظيم لنا الخلاص. إذن فلنحبه من **القلب** ونذكره **بالفم** ونردده **بالشفاه** ونحفظه في العقل. في قيامنا وجلوسنا. في أكلنا وشربنا. في صحونا ونومنا فليكن اسم الرب يسوع المسيح هو كمالنا. فبه نستطيع أن نغلب وأخيراً نُردد مع الرسول: "**يعظُمُ انتِصارنا بالذي أحبَّنا**" (رو ٨: ٣٧).

❖ سأل راهب قائلاً:

ماذا يعني السيد المسيح بقوله: "ويل لكم إذا قال فيكم جميع الناس حسناً. لأنه هكذا كان آباؤهم يفعلون بالأنبياء الكذبة" (لو ٦: ٢٦)؟

أجابه أبونا متاؤس قائلاً:

لم يقصد الرب أننا نفعل السيئات لكي لا يقول الناس فينا حسناً، إنما حينما ننفذ وصاياه المقدسة لا بد أن نجد عراقيل كثيرة ونكون مخيرين بين أمرين: هل نقول ونعمل الحق الذي يتفق مع الوصية الإلهية ولا نبالي بما يحدث لنا من الآخرين المقاومين لنا ويقال في

حقنا ظلم وكذب وافتراء؟ أم نتنازل على حساب الحق في سبيل حفظ كرامتنا وأن يقال فينا حسناً وبذلك نسير في الخطأ والضلال والحق المموه ونحن مسرورين بما يقولوه الناس عنا حسناً؟!

قال السيد المسيح: "**مجداً من النَّاس لستُ أقبَلُ**" (يو ٥: ٤١). وقيل في شخصه المبارك أشياء كثيرة رديئة أنه: "**لا يُخرِجُ الشَّيَاطين إلاَّ بِبَعلزبُول رئيس الشَّياطينِ**" (مت ١٢: ٢٤). وهكذا رجال الله القديسون من الرسل والشهداء وخدام الكلمة، اُضطهدوا من أجل إظهار الحق ولم يبالوا بما يقال عنهم. وها القديس الأنبا أثناسيوس الرسولي قالوا له: أن العالم كله ضدك، فقال لهم: وأنا ضد العالم. لأنه كان واثقاً أنه سائر في الطريق والحق والحياة، وهذا الحق وحده هو الذي يستطيع أن يُحرره وليس كلام الناس.

كنت سابقاً أفكر أن هذه الآية تتعارض مع الآية القائلة: "... **لكي يروا أعمَالكمُ الحسنة، ويُمجِّدوا أباكُمُ الذي في السَّماواتِ**" (مت ٥: ١٦). ولكن أنارت ذهني الآية القائلة: "... **لأنه هكذا كان آباؤهُم يفعلُون بالأنبياء الكذبةِ**" (لو ٦: ٢٦).

كان الأنبياء الكذبة يتواطئون معهم في أعمالهم الشريرة وآراءهم وأقوالهم الفاسدة، ويحققون لهم ذلك بما أنهم أنبياء وهم في الحقيقة كذبة لأن أبوهم الشيطان كذاب وأبو الكذاب، وبذلك كان الأنبياء الكذبة مكرمون في أعين هؤلاء الناس الأشرار ويقولون عنهم حسناً.

❖ سأل أخ قائلاً:

ما الذي ينتفع به الرهبان من السكنى في البراري والقفار؟

أجابه أبونا متاؤس قائلاً:

ذهب يسوع إلى جبل الزيتون ليُعلمنا أن نستمد العون في ضيقاتنا وأحزاننا من الآب السماوي في الخلوة والهدوء، لتُعلم طلباتنا ونتسمع صوته، بل ونأخذ القوة والعون في حينه للمكافحة والجهاد في الطريق.

الاهتمام بالروح هو حياة أما الاهتمام بالجسد فهو موت. رئيس الحياة ذهب إلى الجبل حيث هناك حياة الروح. **في القفر تتخلص النفس المنزعجة من اضطرابات الحياة. في القفر تُشفَي النفس من آلامها، ويطهر العقل، وينقي القلب، وفي القفر تنمو الروح وتسمو بإتحادها بخالقها.**

❖ قُلْ لي يا أبي:

ما هى النفوس التي تستحق مناظر الروح؟

فنظر إليه الشيخ وقال:

في النفوس البسيطة البريئة الخالية من هَم هذه الحياة الفانية، وللذين لا شهوة لهم في العالم ولا تعظم معيشة، نعم للمساكين بالروح لهؤلاء اطمئنان أن لا يخافوا. نعم ولهم أيضاً استحقاق مناظر الروح لأن سر الله لخائفيه.

❖ زار راهب أبانا متاؤس السرياني وقال له:

بماذا ترشدني، فقد تصيبني مصائب وأحزان وأوجاع كثيرة، ويحثني فكري على ترك المكان والذهاب لآخر لعلني أجد فيه عزاء؟

فأشفق عليه الشيخ وقال له:

كل إنسان لا بد أن يأخذ نصيبه الذي قسم له من الله في هذه الحياة من المصائب والآلام والأحزان والأوجاع.

فمن يستطيع أن يهرب أو يفلت من يده "**أين أذهبُ من رُوحكَ؟ ومن وجهكَ أين أهرُبُ؟**" (مز ١٣٩: ٧). وكثيراً ما يتبرم الإنسان من العيشة في مكان ما ويقول لو تركت هذا المكان لوجدت راحة وتخلصت من هذه الأتعاب.

ولكن ما يحدث أن في غير هذا المكان لا بد أن يجد الأتعاب، إن لم تكن بعينها فبصورة أخرى ومن نوع آخَر.

إذاً فالجهاد في الغلبة **بالصبر** "**بصبرِكُم اقتنُوا أنفُسكُم**" (لو ٢١: ١٩) ومجموع حياتنا في أيام غربتنا هو عبارة عن سقوط وقيام "**لأنَّ الصِّدِّيق يسقُطُ سبع مرَّات ويقوم**" (أم ٢٤: ١٦).

لذلك قال مُعلّمنا بولس الرسول: "**لا تستكبِرْ بل خَفْ!**" (رو ١١: ٢٠). و"**فسيرُوا زمان غُربتِكُم بخوفٍ**" (١بط ١: ١٧). و"**مُفتدينَ الوقت لأنَّ الأيام شِرِّيرةٌ**" (أف ٥: ١٦).

لذلك ما أشد حاجتنا إلى أن **نلتصق بربنا يسوع المسيح** ونكوِّن معه دالة الحب وعشرة لا تنقطع فيكون هو معزينا في أحزاننا وناصرنا في ضيقاتنا

وشدائدنا التي تُصيبنا ونحن في الجسد إلى أن نستوطن عنده وفي النهاية نستطيع أن نقول: "**يعظُمُ انتِصَارُنا بالذي أحبَّنا**" (رو ٨: ٣٧).

❖ ثم سأل راهب آخَر قائلاً:

ماذا أفعل حينما يخيم الظلام على نفسي وتصاب بجفاف؟

فتحنن عليه الشيخ وقال:

كثيراً ما يتظاهر الرب وكأنه يسير بعيداً عنا فنرى جفافاً في نفوسنا ولا نعلم أن العلة هي منا لأننا لم نطلبه. هو يشتاق أن يسكن في بيته (النفس) لأنه قال: "**هئنذا واقفٌ على الباب وأقرعُ. إن سَمعَ أحدٌ صوتي وفتح الباب، أدخُلُ إليه وأتعشَّى معه وهو معي**" وبذلك يُعلمنا أن لا نهدأ ولا نكف بكل الوسائل لتطهير الداخل لتكون العلية معدة مقبولة. ثم ماذا فعل تلميذا عمواس "**فألزماهُ قائلَين: امكُث معنا**" وهنا نتمسك به كما فعل في القديم يعقوب وقال: "لا أتركك إن لم تُباركني". إذن فلنلزمه أن يدخل مسكنه وينقي كل ما لا يتفق وكرامته، لأنه حينما يدخل يشعر بجفاف النفس التي لم تجد تعزياتها في كل الأمور المادية والاهتمامات العالمية يشعر بجوع نفوسنا وظمأها فيرويها من مياه نعمته ويشبعها من محبته. فلما اتكأ الرب مع تلميذي عمواس أخذ خبزاً وبارك وكسر وناولهما. فحين تغتذي النفس بجسده ودمه الكريم تسكر بمحبته وتنسى كل ما حواليها وهنا تنفتح عيون قلوبنا وينقشع الظلام المُخيم على النفس وتشعر وتحس كأنها في السماء "ملكوت الله داخلكم" فمنه تأخذ تعزياتها وبه تحارب وتنتصر على الأعداء.

❖ زار أبانا متاؤس السرياني مجموعة من الرهبان وسألوه قائلين:

ما هو تأثير تزايد المعرفة والعقلانية على الرهبان، وكيف يصلوا لروح الآباء الأول؟

أجابه الشيخ قائلاً:

هذا الجيل الذي تزايدت فيه المعرفة واتسع نطاق العقل، وبذلك ضعف الإيمان وتبعاً له قلَّ فعل الروح، إذ وجد أمامه المُعطلات كثيرة وأصبحت حواجز وعراقيل لانطلاق الروح. كَثُرَ الوعظ، وازداد العلم وهكذا نرى أننا في جيل يهتم كثيراً بالمظهر والشكليات وليس فيه من العمق الروحي شيء إلا النادر وهذا حسب ظني غير ظاهر لنا عياناً.

لماذا نخدع أنفسنا كثيراً؟ لماذا نهتم بالظاهر أكثر من الباطن؟ وأخشى أن تقع علينا كلمة مُعلّمنا الأعظم (قبور مبيضة.....). وما ذلك إلا لأني أنا الشقي انحرفت عن طريق آبائي وأسارع دائماً لسماع الأقاويل علني أجد فيها حياة لنفسي المهدَّمة وبذلك لم أترك فرصة لعمل الروح في داخلي ليعمل في هدوء وصمت. ولا يتم ذلك إلا بالتسليم الكُلي لإلهي الذي يعرفني وأعرفه جيداً أكثر من الآخرين.

"**اختم باب أتعابك بالصمت لئلا يقتلعه اللسان**" للقديس العظيم في المتوحدين مار إسحاق أقوال غاية في العمق الروحي عن الهدوء والسكون ومقدار ما لهما من التقدم في شفاء آلام النفس والإنسان العتيق للامتلاء بالنعمة. وهو أعطى حق للجميع الكبير والصغير القوي والضعيف. وعاش سلام الرب عليه في الجيل السادس وكان يقول: "جيلنا هذا الفاتر المُنحل". فماذا نقول ونحن في القرن

العشرين هل يا تُرى سنصادف في حياتنا الهدوء الذي قال عنه أنبا أرسانيوس: "أن صوت العصفور يكدره ؟!!"

فحين سأل أحد الإخوة شيخاً ماذا يعمل ليسلك راهباً كما يجب، لم يطيل معه الكلام كثيراً ولم يشرح له ويفسر آيات ولم ولم... الخ، ولكنه قال له كلمة اختبرتها بحقارتي فعلاً فوجدتها نعم الإجابة السديدة الملهمة بروح الله قال له: **(اجلس في قلايتك وهى تُعلمك كل شيء)** وفعلاً هذا الأخ وجد نياحاً في حياته الروحية.

إذن فعلى هذا الجيل أن يسعى أولاً: للهدوء والسكون، وثانياً: للجلوس في القلاية.

❖ أخبرني يا أبي:

ماذا يقصد القديس يوحنا بأن نصير أولاد الله في قوله: "وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه" (يو ١: ١٢)؟

أجابه أبونا متاؤس قائلاً:

أي شرف هذا لنا نحن المسيحيين أن نُدعى أولاد الله. أولاد الله كلمة عابرة غالباً ما تمر بذهني كشيء بسيط. ولكن إذ يُسلّط عليها ضوء النعمة القوي تنكشف أمامي بعض من قوتها التي لا تُحَد. الله المالئ الكل الذي لا يُحَد ولا يُكيَّف، خالق السماء والأرض ومُوجد الإنسان من العدم هكذا شاء بتنازله العظيم أن يدعونا أولاده. يستطيع أن يُدرك اليسير من هذا الشعور الأب، الذي له أولاد، كم هى قوية محبته لأولاده.

وإذا حدث لأحد من أولاده أذية ما يكون كفاقد لشعوره من فرط معزة الابن لديه.

نحن أولاد الله. يا لهذا الفرح العظيم أن نرتفع من درجة العبودية إلى ميراث البنين. فإذا كنا أولاد الله ما بالنا نتلمس في ظلمة حالكة. نخاف ونخشى أي أمر يحدث في حياتنا. وسبق أن وعدنا بمحبته. وعود مطمئنة تدل على عظيم أبوته وحنانه ومحبته التي لا تحد ولا تحصى.

"**لأنه هكذا أحبَّ اللَّه العالَم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلِك كُلُّ مَنْ يُؤمنُ به، بل تكُون لهُ الحياةُ الأبدِيَّة**" (يو ٣: ١٦).

وأيضاً: "**هُوذا على كفَّيَّ نقشتُكِ**" (إش ٤٩: ١٦).

مَنْ يمسكم يمس حدقة عينه. إن نسيت الأم رضيعها فأنا لا أنساكم.

إزاء كل هذه المواعيد نستطيع بنعمته أن نتشجع ونتقوى في جهادنا ضد الخطية والشيطان والعالم لكي ما تكون لنا أحقية دالة البنوية. نعم مهما كانت خطايانا كثيرة فمراحمه أكثر بكثير (لذتي في بني آدم) قال مار إسحاق: "أنه يُسكت ضجة السمائيين ليسمع صوت وأنين الإنسان المُصلي إليه. فلتقوى وتتشجع عزائمنا الخائرة، ونصرخ بتنهدات عميقة:.

❖ سأل راهب أبانا متاؤس السرياني قائلاً:

لماذا ينتابنا الفتور في العبادة في حياتنا الرهبانية، وكيف نرجع إلى درجتنا الأولى؟

فنظر إليه الشيخ قائلاً:

ما ينتابنا دائماً في حياتنا الروحية في الرهبنة من فتور في العبادة هو أننا كثيراً ما نستعمل الألفاظ كحياة. فمثلاً نأخذ تدريب

الصمت أو الخلوة أو التوحد في الجبل أو الحبس في قلاية في الدير وما شابه ذلك كأنها تداريب أو اختبارات ليست إلا. فإذا ما انتابنا فيها فترات فتور أو ضجر أو حرب من الأعداء نرتد على أعقابنا ونرجع إلى الوراء، ويا ليتنا نقف على أقدامنا بل نهبط إلى الحضيض وهيهات بعد جهد بمعونة النعمة نرجع إلى درجتنا الأولى.

أما أننا نستعمل كلمة (اختبار) أو (تدريب) حسب رأيي هذه ألفاظ ينبغي أن يستعملها العلمانيون الذين يجاهدون في العالم فيأخذون لهم فترات روحية لتنشيطهم روحياً. أما عندنا نحن الرهبان فهى (حياة) العمر دائمة ثابتة لا تتغير ما دمنا اخترنا لأنفسنا حمل الصليب فلنكمله بالموت كما حدث لسيدنا.

❖ سأل أخ قائلاً:

ما هى الرهبنة في رأيك؟

أجابه أبونا متاؤس قائلاً:

الرهبنة هى طريق التوبة وهى أيضاً طريق الموت... **فحينما نسير في طريق لا نتقهقر بل نُكمله بالصبر إلى حد الموت وحين يرى الرب صبرنا سريعاً ما يُرسل المعونة.**

❖ أرشدني يا أبي:

كيف يعرف الراهب أنه مؤهل للوحدة، وماذا يحدث له إذا سلك هذا الطريق دون أن يتأهل له؟

فتنهد الشيخ وقال:

يحسن جداً ما دمنا نرى في أنفسنا أننا مازلنا أحياء ولم نمت بعد كما يجب أن نثبت على ما نحن عليه باتضاع قلب. إن كنا لم

نتمم خدمة المجمع كما يجب فلنصبر حتى يأتي الأوان وذلك نشعر به في أنفسنا ويقتنع به عقلنا إذ لا يكون فيه انقسام أو شك البتة. ولا نستعجل هكذا ونعمل برعونة حتى لا يكون فيه خسارة لأنفسنا وشماتة لأعدائنا ورعب لزملائنا. والدليل على ذلك أن عمل النعمة دائماً يكون ثابتاً كالصخر قوياً لا يتزعزع "**بِدُوني لا تقدرون أن تفعلُوا شيئاً**" (يو ١٥: ٥).

وكما يحدث للمريض قبل أن يتم شفاءه نكسة هكذا يحدث لنا قبل أن نتحرر من آلام النفس ونخلع الإنسان العتيق. وفيما نحن سائرون في الطريق نرجع إلى الوراء فيشمت بنا العدو ويستهزئ وما أشد ما يكيل لنا من ضربات...

فالرهبنة هى درجات يصعد بها الراهب إلى الكمال، أما إذا قفز من الدرجة الأولى إلى العاشرة فبالعدل يهبط إلى أسفل. ويلزمه الحق أن يصبر فتعينه النعمة مربيته ومرشدته الحقة التي احتملت وتحتمل تقلباته.

❖ ثم سأله آخَر قائلاً:

وما هى احتياجات الطريق الرهباني في هذه الأيام؟

أجابه أبونا متاؤس قائلاً:

لا شك أن الطريق الرهباني في أشد الحاجة إلى إرشاد روحي عملي، وإلى خبرة روحية سبق أن مارسها المرشد. وعن الحروب الداخلية والخارجية عن مواقع ضعفات النفس عن كمين الأعداء وكيفية النصرة بسلاح الله. وأمور كثيرة ... فما أدق حياة الراهب.

❖ سأل راهب أبانا متاؤس السرياني قائلاً:

هل من المهم للراهب أن يتحدث مع الروحانيين ومن ذاقوا مواهب الروح؟

أجابه قائلاً:

على الراهب الذي يسعى في طلب الملكوت أن يتبادل الحديث مع الروحانيين ومن ذاقوا مواهب الروح. وأن يتعلم طرق عبادتهم وكيف اتصلوا بمبدع الروح. كيف ارتقوا وتساموا وأخذوا يحلقون في سماء الروح. ثم كيف قرعوا الباب ففتح لهم مرحباً إذ صاروا في ملء الروح يبحثون جادين لنوال ملكوت الله وبره ويفتشون عن الكنز المخفي داخلهم، إذ أن حياتهم منه وبه وإليه ترجع.

❖ سأل أب قائلاً:

ما هى الأركان الأساسية التي ينبغي أن يبني عليها الراهب حياته الرهبانية؟

أجابه أبونا متاؤس قائلاً:

يقول السيد المسيح: "**إن أراد أحدٌ أن يأتِي ورائي فليُنكِر نفسهُ ويحمِل صلِيبهُ ويتبعني فإنَّ مَنْ أراد أن يُخلِّص نفسهُ يُهلِكُهَا ومَنْ يُهلِكُ نفسهُ مِنْ أجلِي يجِدُهَا**" (مت ١٦: ٢٤ - ٢٥).

أرى أن الرهبنة مبنية على هذا الأساس: **إنكار الذات، حمل الصليب، إهلاك النفس** (بذل. تضحية. ميتوتة كاملة).

❖ ثم سأله راهب آخَر قائلاً:

وما هى آلام محبة الذات التي تعوق الراهب عن إنكار ذاته؟ وما هو العلاج لهذه الآلام؟

أجابه الشيخ قائلاً:

✝ ليس من الهين على الإنسان السائر في طريق الفضيلة وتنفيذ وصايا الرب أن ينكر ذاته. آه لو يصل الإنسان إلى هذه الفضيلة حيث أنها تحوى اتضاعاً عظيماً. وكيف يستطيع شيء موجود (أي الذات) أن ننكره من الوجود ويحيا المسيح بدلاً منه فيكون هو العامل فينا وبنا لمجد اسمه القدوس. أما ذاتي التي جلبت عليَّ أتعاباً كثيرة فهى تتغذى على المديح الذي فيه موتها وحين تُهان أو يُهضم حقها تثور وتغضب وتحقد ثم تنتقم.

✝ تُريد أن يكون لها النصيب الأكبر والأولوية في الكرامة حيث العجرفة والكبرياء "**لأنَّ الأصغر فِيكُم جمِيعاً هُو يكُونُ عظِيماً**" (لو ٩: ٤٨).

✝ تجري وتسعى أن تكون ذات شهرة وصيت وإن لم تتمكن من ذلك في الظاهر فتختبئ وراء حجاب من القداسة وصورة التقوى ليقال عنها حسناً: "**ويلٌ لكُم إذا قال فيكُم جمِيعُ النَّاس حسناً**" (لو ٦: ٢٦). "**لهُم صُورةُ التَّقوى، ولكِنَّهم مُنكِرُون قُوَّتها**" (٢تي ٣: ٥).

✝ غيرة وحسد: إذا ما رأت أن الآخرين يتقدمون عنها أو يُمدحون أو يُكرَّمون تريد أن تجذب كل هذا لذاتها، وأن تتجه الأنظار إليها وتحاول أن تنقص من

قدر الممدوح فيهم ليتحول اتجاههم ونظرتهم إلى فضائلها الكاذبة الزائفة. وإن لم تنجح في ذلك ففي أفكارها الخفية تحسد وتغير وتظن السوء ويتحول كل هذا إلى غيظ كنار تحت مرجل يغلي.

✝ ثم أليس ألم الزنا من أهم الأسباب في تثبيت الذات ويسبقه الكبرياء؟

✝ أو أليست النميمة والدينونة حتى وإن لم يتفوه بها اللسان هى أيضاً من محبة الذات؟ فإذا كانت ذاتي حقيرة في نظري مهانة كما قال داود وهو نبي وملك عظيم وممسوح من قبل الله: "أنا دودة وكلب ميت" لماذا إذاً أنم في آخَر وأدينه وأُفضل نفسي عليه. وأريد أن أتعالى عليه وهذا أيضاً من عدم المحبة.

✝ وأيضاً في مظهري الخارجي من لُباس أو مشي أو جلوس فيه عُجب أو حديث فيه مدح للذات أنا فعلت كيت وكيت وأنا قلت... وهكذا يطول بي الشرح إن تكلمت عن ذاتي أي **أنا** التي حجبت عني السماء وخالقها وأضحت نفسي البائسة سائرة في ظلام لا تدرى له نهاية.

وما العلاج لكل هذه الآلام الكائنة في ذاتي؟ يُجيب الرب له المجد بكلمة صغيرة فيها الكفاية لمن يعمل بها "... ينكر نفسه... يحمل صليبه كل يوم... يهلكها..." عملية إنكار وفي سبيل ذلك حمل صليب كل يوم ثم اهلاك. كلمات قوية مضيئة واضحة كالشمس لا تحتاج إلى تفسير كثير **فما أكثر الكلام وما أقوى الكتابات ولكن بدون جدوى إن لم نعمل.**

"إن لَم تقع حبَّة الحِنطة في الأرض وتمُت فهى تبقى وحدها. ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير" (يو ١٢: ٢٤).

❖ أخبرني يا أبي:

بماذا تنصح الرهبان الذين يرغبون في الخروج للوحدة في قلاية منفردة؟

فجاوبه الشيخ قائلاً:

على الذين ينفردون للعبادة من الرهبان في طقس النسك العالي إما بالحبس في قلاية أو الوحدة في مغارة بالجبل. فليقيموا أولاً في الكونبيون (أي المجمع) مكملين الطاعة والتواضع تحت إرشاد أب مُحنك إلى أن يمتلئوا بالنعمة ويتدربوا على الفضائل حتى يأخذوا قوة روحية لمقاومة العدو الداهية فيكون نصيبهم النصرة دائماً في كل معركة. لأن الرب يدافع عنهم وليس بمجهودهم الشخصي الضعيف.

❖ سأل أخ قائلاً:

ماذا يقصد يوحنا الرسول بقوله: "لأن الرُوح هُو الحقُ" (١يو ٥: ٦)؟

أجابه أبونا متاؤس قائلاً:

وكأن بذلك يُعلمنا يوحنا الحبيب أن ذلك الإنسان الذي دائماً ينطق بالحق ويحس بالحق ويحيا في الحق وللحق مثل ذلك الإنسان يكون روحاني لأنه امتلأ بالروح فأصبح الروح هو العامل فيه وبه لمجد الله.

❖ سأل راهب أبانا متاؤس السرياني قائلاً:

على أي أساس تكونت الرهبنة؟

أجابه الشيخ قائلاً:

على أساس الحب تكونت الرهبنة. فهى حب سامي تبدأ بالمخافة وتكمل بالحب حب المسيح الذي أحبني يقوى ويتغلب على حب أبي وأمي وأخي وأختي والجميع. فهؤلاء وإن كنت أحبهم في شخص المسيح ولكن ليس كمحبتي له فمحبته هو تسمو على الكل من القلب وبكل القدرة والفهم والتفكير ....

ثم في طريق الحب آلام وأحزان وكما سبق حبيبنا وحمل الصليب وأظهر أن ليس حب أعظم من هذا أن يضع الإنسان نفسه عن أحبائه. كذلك ليس التلميذ أفضل من معلمه. فإن كان وهو البار احتمل الحزن والهوان فكم بالحري أنا المملوء بالخطايا مستحق أن أموت من أجله كل يوم ...

❖ ثم أردف سؤاله بسؤال آخَر وقال له:

وما هو العمل الرئيسي في حياة الراهب؟

أجابه الشيخ قائلاً:

رجال الله، حياتهم ما هى إلا صلة مستمرة بإلههم، منه يستمدون المعونة ويأخذون القوة وتستجاب طلباتهم فهم يحيون دائماً بحضرته.

فكم بالحري الرهبان الذين تخصصوا لهذا العمل الداخلي العميق؟ وكيف ترتفع نفوسهم وتتحرر من كثافة الجسد وتنطلق مع المسيح فتكون معه دائماً؟!

❖ ثم سأله راهب آخَر قائلاً:

متى يتحرر الراهب المُجاهد من الإنسان العتيق؟

أجابه الشيخ قائلاً:

هكذا كانت وما زالت الرهبنة قبل أن تكون موت عن العالم فهى موت الذات. أموت أنا ليحيا المسيح فيَّ وما سماه مُعلّمنا بولس الرسول: "خلع الإنسان العتيق" ولا يتأتى ذلك إلا بنعمة خاصة وهبة من الله بعد الثبات في الطريق مدة حسب افتقاد النعمة. فصبراً صبراً طويلاً أيها المجاهد.

❖ قُلْ لي يا أبي:

لماذا يترك الله الراهب المجاهد وحده في بعض الأوقات؟

أجابه أبونا متاؤس قائلاً:

في أحيان كثيرة يرى الإنسان المجاهد في طريق الرب كأنه سالك في ظلمة وظلمة حالكة لا نهاية لها. يود أن يرى رؤيا أو منظراً روحاني يشتاق أن يسمع صوت الله لتتعزى نفسه وتتشجع في الضيقات الكثيرة والآلام التي يجوزها. ولكن يسير كمن يتلمس الحائط في الظلام.

وهو لا يدري أن الرب قريب منه جداً بل معه. ولكنه يخفي ذاته عنه وله في ذلك تعالى قصد سامي. وأخيراً يرى ويسمع إلهه المشتاق إليه على حين غفلة وذلك حين يسمح الرب بذلك. إذاً ليس مجهودنا الشخصي الذي نبذله هو كل شيء ولكن افتقاد النعمة في الوقت المعين وحسب الاختيار.

❖ سأل راهب قائلاً:

ما رأيك في من يخرجون للوحدة طلباً للراحة؟

أجابه أبونا متاؤس قائلاً:

إن الراحة التي تسبق ميعادها كثيراً ما تكون عواقبها وخيمة على صاحبها في كل الأمور الروحية والجسدية. وإذا طبقنا هذا الأمر على الراهب الذي يشتاق إلى الوحدة ويتوحد قبل أن يتمم خدمة المجمع غالباً تكون حياته في قلق وعدم ثبات.

وقد أوضح ذلك القديس فيلوكسينوس باستشهاده بقصة بني إسرائيل الذين ذاقوا مرارة الذل في مصر وعبودية وقساوة فرعون لهم ومقدار المشقة والتعب والتسخير الذي نالهم، وكيف بعد كل هذا أطلقهم الرب ليعبدوه بحرية في البرية.

❖ زار راهب أبانا متاؤس السرياني وسأله قائلاً:

كيف يستطيع الراهب أن يجعل صلاته مسموعة لدى الرب؟

جاوبه الشيخ قائلاً:

ليس ذلك مستطاع إلا بتكميل وصية الرب لأن طلبة البار تقتدر كثيراً في فعلها. وكيف نستطيع أن نكون أبراراً ونحن خطاة وليس لنا بر ذاتي. نعم نستطيع كل شيء في المسيح يسوع لأنه هو برنا وفيه الكمال لضعفنا. لذلك يلزمنا جداً أن نلتصق به ونتمسك به إلى النهاية لكي نثبت فيه وهو فينا وبذلك نستطيع أن نُثمر ثمار الروح إذا ما كنا

متأصلين وثابتين في الكرمة وإلا فيكون الواحد منا كالغصن الجاف الذي يُقطع.

أما كيف نُصلي؟ فهذا أمرٌ عظيم حقاً، فليس كل من وقف وتلى بشفتيه كلمات قليلة أو كثيرة قد صلّى، إنما الصلاة لها طرق متعددة وتداريب متنوعة وحدود وإمكانيات؛ لأنها غذاء النفس وهى أيضاً من عطايا الروح.

فلنطلب من الله أن يهبنا الصلاة الحقيقية الروحانية المسموعة لديه، وليس فقط المسموعة، بل المستجابة أيضاً وفقاً لمشيئته تعالى.

فإن كان عن سماع الرب، فهو تعالى سامع للتنهدات والزفرات قبل الكلام لأنه فاحص القلوب ومختبر الكلى.

أما كيف نستطيع بنعمته أن نجعل لنا دالة أمامه أن يكون لصلاتنا إجابة من قبله فهذا الأمر هو العظيم حقاً.

❖ انصحني يا أبي:

ماذا أفعل، فكلما بدأت جهاد ما، لا أستطع أن أكمله؟

فتحنن عليه الشيخ وقال:

كل عمل وكل جهاد إن لم يتكلل بالصبر يُعتبر كلا شيء. وقد قال المسيح له المجد: "**بصبرِكم اقتنوا أنفُسكُم**".

فما الفائدة إذا ابتدأت بعمل صالح وعاقني في الطريق شيء من المعطلات وما أكثرها ولا سيما من فخاخ الأعداء الأبالسة، فأتخلى عن الهدف السامي الذي تصبو إليه نفسي وبذلك أخسر الجعالة.

وإذا تأملنا الجهاد الرهباني في سيرة الآباء السابقين نجد أنهم ذاقوا المرارة في الابتداء واستمرت معهم الأتعاب وحروب الشياطين سنيناً طويلة ثم في النهاية نتيجة لصبرهم نسمع بشهادتهم أنهم حصلوا على الراحة والهدوء النفسي والسلام وتلك الراحة التي هى ذاتها حالة تجديد الروح القدس وعمله في أنفسهم بقوة وثبات كما يوم أخذوه في المعمودية.

فالصبر إذن من أهم الفضائل للثبات والإثمار ونوال الحياة الأبدية.

❖ سأل راهب أبانا متاؤس السرياني قائلاً:

هل الصلاة الدائمة تؤهلنا للدخول إلى ملكوت السماوات؟

أجابه الشيخ قائلاً:

يقول الكتاب: "**ليس كلُّ مَنْ يقُولُ لي: يارَبُّ، يارَبُّ! يدخُلُ ملكُوت السَّمَاواتِ. بل الذي يفعلُ إرادة أبي الذي في السَّمَاواتِ**" (مت ٧: ٢١).

هكذا يُعلمنا الرب يسوع له المجد أن ليس كل من تمتم بكلمات كثيرة أو قليلة وليس كل من صلى وقال: يارب يارب، وأستطيع أن أقول أيضاً: ليست الصلاة الدائمة في حد ذاتها فقط هى شرط الدخول إلى ملكوت السماوات. ولست أقصد إهمال الصلاة البتة لأن الصلاة هى سلاحنا وهى الوسيلة التي تفتح لنا الباب لتُعلم طلباتنا وبواسطتها نستمد منه تعالى القوة والعون ولكن الخطورة أن تكون هى هدفنا مكتفين بها فقط.

إنما هناك أموراً هامة من أجلها أتى الرب وتجسد وعلمنا إياها لنسلك فيها وبمقتضاها يكون لنا الأهلية من قبل رحمته وليس من قبل استحقاقنا نحن الخطاة أن نرث المُلك السمائى. "**أتيتُ لتكُون لهُم حياةٌ ولِيكُون لهُم أفضلُ**" (يو ١٠: ١٠).

وهذه الأمور التي علمنا الرب هى وصاياه المقدسة وهذه هى إرادة الرب قداستنا "**الذي عندهُ وصاياىَ ويحفظُها فهو الذي يُحبُّنِي**" (يو ١٤: ٢١).

❖ سأل أخ قائلاً:

ماذا أفعل يا أبي ففي أوقات كثيرة أشعر بثقل الوصية أمام لذة الخطية؟

أجابه أبونا متاؤس قائلاً:

إن كان يشترط علينا الدخول من الباب الضيق وبضيقات كثيرة وآلام متنوعة وتجارب عديدة نجوزها ولكن إذا قيست بلذة الخطية، التي تولد موتاً أبدياً وحياة قلقة في هذا الدهر بضمير معذب، نجد أن وصايا الرب فعلاً ليست ثقيلة.

وإذا نظرنا إلى حياة آبائنا القديسين الذين عاشوا متعبين متضايقين ففي هذا الضيق وفي هذه الأحزان المتنوعة الأتعاب قد رأوا الرب وكل منهم حسب قياسه الروحي كان يتنعم بمحبته فكانت تُنسيه أحزانه بل في هذه الأتعاب التي كانوا يقاسونها من أجله كانوا يشعرون بلذة وفرح لا مزيد عليه.

لأنه واضح أننا نحن المسيحيين لسنا من هذا العالم. فلو كنا من هذا العالم وخاضعين لرئيس هذا العالم لكانت تعزيتنا بأموره الفانية وبمجاذبات الخطية التي يثيرها رئيسه علينا.

وبما أننا أبناء النور خاضعين في ولائنا لمليكنا السمائى الحقاني يسوع المسيح له المجد، الذي اشترانا بدمه الزكي، فوجب علينا أن نسلك في هذه الحياة بما يرضيه متممين مسرته عاملين إرادته من القلب مستندين في ذلك إلى قوته طالبين معونته لأننا بدونه تعالى لا نقدر أن نعمل شيئاً.

❖ سأل راهب أبانا متاؤس السرياني قائلاً:

بماذا تنصح من يشتاقون للدرجات العليا والعطايا الإلهية في سنين قلائل؟

أجابه الشيخ قائلاً:

يتعب الراهب منذ دخوله الرهبنة ويجاهد الليل والنهار في أصوام وأسهار وصلوات وميطانيات وطاعة وخضوع وخدمة المجمع، ثم في حبس وانفراد، ويطول انتظاره لحضور الرب وامتلائه بالنعمة وتعزيات الروح ويود أن يرى العطايا الإلهية كما قرأ في كتب القديسين لا سيما مار إسحاق والشيخ الروحاني. ثم يشتاق إلى الدرجات الروحية العالية التي يسمع عنها وكل هذا في سنين قلائل وكأنه بذلك يريد أن يسبق الأوان وأن يحصد الثمار قبل أن تموت حبة الحنطة.

مسكين مثل هذا الإنسان إن كان علمانياً يُجاهد في طريق الروح في العالم، أو راهباً يبغي الوحدة والسكون.

وهنا يسمع قول يعقوب الرسول: "**تأنوا**" كلمة جميلة تحتاج إلى تأمل عميق فما أكثر أخطاء السرعة والعجلة والرب في كل طرقه يعلمنا التأني. أو ليس في تجسده العجيب ومجيئه على الأرض لخلاص البشرية درساً هائلاً في التأني إذ بعد

خمسة آلاف وخمسمائة سنة شاءت إرادته ودبرت الفداء العظيم. ثم أننا إذا استعجلنا وطلبنا شيئاً في غير أوانه ألا يُعتبر هذا تعدياً وتدخلاً في التدبير الإلهي إذ ربما أطلب شيئاً في غير ميعاده يكون منه ضرر لي أو لغيري.

ولكن الله الذي يُعطينا أكثر مما نطلب يعلم ما هو صالح لنا ويعطي في حينه كمسرته الذي يبسط يديه فيشبع كل حي غنى من رضاه. "**هوذا الفلاَّح ينتظر ثمر الأرض الثَّمين مُتأنِّياً عليه حتى ينال المطر المُبكِّر والمُتأخِّر**".

وهذه تتفق مع العلوم الزراعية فما أضعف الثمر الذي يأتي قبل أوان تسويته إن لم يكن لا قيمة له ولا فائدة منه. ولقد قال العظيم في العارفين مار إسحق: "**كل موهبة تأتي بدون تعب اعتبرها كالسقط الذي لا حياة له**". لأنها كما أتت بسرعة تذهب بسرعة. فتأنوا أنتم وثبتوا قلوبكم لأن مجيء الرب قد اقترب.

فالمهم جداً هو ثباتنا في تكميل وصية الرب ومحبته من القلب فوق كل شيء، ونحن غير ناظرين إلى عطاياه أو مواهبه حتى ولو كانت روحية، وإلا كانت محبتنا له لغرضٍ؛ لأن هذه تأتي من ذاتها وهو أمين في مواعيده، فعندما يطهُر القلب، مواهبه تعالى تأتي تلقائياً. وكما يجذب المغناطيس قطعة الحديد تكون حينئذ النفس مهيأة لاستقبال العريس وحلوله فيها.

❖ سأل راهب قائلاً:

ماذا أفعل حينما تداهمني ظلمة النفس والضجر والملل؟

فنظر إليه الشيخ وقال:

فلنثبت مع المسيح أينما كنا، وكيفما كنا، سواء في ظلمة النفس والضجر والملل وعدمان التعزية بكل وسائلها. ولو أن إلهنا

رحيم إذ أنه تعالى يشرق من حين لآخَر بومضات من افتقاد نعمته في نفوس محبيه، وهذا عربون منه لمحبته للنفس المُخلصة الأمينة في محبته، إلى أن يأتي الميعاد الذي يجيء ويسكن في محل قدسه "النفس" وهنا يشعر الإنسان وكأنه انتقل إلى السماء ولو أنه عائش بجسده على الأرض وهذا هو (تجديد الروح القدس).

وهذا يتأتى بعد جهاد طويل وحروب شتى وضيقات كثيرة فيها تُختبر أمانة ومحبة طالبي الرب ومنتظري الرجاء الصالح وكل أمر طبعاً حسب عطية الروح وافتقاد النعمة كمشيئته تعالى.

❖ قُلْ لي يا أبي:

ماذا أفعل فحينما تكثر خطاياي وسقطاتي يحثني فكري على عدم قبول الله لي فأرجئ توبتي لوقت آخر؟

فتحنن عليه أبونا متاؤس وقال:

علمنا الرب في إنجيله المقدس مقدار عظم صلاحه وطول أناته على الخطاة وكيف أنه قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة مدخنة لا يطفئ. حين أُمسكت المرأة في ذات الفعل أتى بها المشتكون أمامه ليسمعوا حكمه. ماذا قال يسوع له المجد؟ من منكم بلا خطية فليرمها أولاً بحجر. ولما كان كل واحد منهم مثقل بخطايا خفية لا يعلمها سواه لم يستطع أحد منهم أن يُدينها أو يرميها بحجر وتسللوا واحدٌ واحدٌ لئلا تُفضح خطاياهم لبعضهم البعض بعد أن كشفها لهم، كل منهم رأى ما عليه من ديون.

ثم ماذا قال للمرأة: أين المُشتكين عليكِ؟ أما دانك أحداً قالت: لا أحد يا سيد قال لها: وأنا لا أُدينك اذهبي ولا تخطئي. وهكذا يُعلمنا كيف أن لطفه وعظم صلاحه وطول أناته على الخطاة إنما ليقتادهم إلى لتوبة.

فالمجد والشكر لإلهنا الطويل الروح الذي يعرف ضعف طبيعتنا وأننا نميل إلى الشر والخطية فوضع لنا طريق التوبة لنصل به إليه. ولكن حذاري أن نُطيل البقاء بعيداً عنه لأنه قال: "إن سقطت قم" وهو واقف على الباب يقرع وحين يرانا آتين إليه من بعيد لم تحتمل محبته الانتظار بل يأتي إلينا راكضاً ليحتضنا ويقبلنا ويأمر خدامه أن يلبسونا حلة جديدة لأننا كنا موتى فعشنا وكنا ضالين فوجدنا وهكذا يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب.

❖ سأل أب أبانا متاؤس السرياني قائلاً:

ماذا يقصد الآباء بضبط الفكر، وكيف بلغ إليها الآباء؟

فسكت قليلاً وقال له:

هى درجة الكمال حيث عاش القديسون لاسيما السواح منهم فكانوا في يقظتهم ومنامهم في أكلهم وشربهم في عملهم وسيرهم على صلة مستمرة بكل الفرح مع ربهم.

وهذا ما قصده الآباء القديسون في تعبيرهم (ضبط الفكر). ولقد وصلوا إلى هذه الدرجة بعد سنين طويلة في جهاد مرير مع طبيعتهم ومع الشياطين وكان جهاد وصلوا فيه حتى الدم وإلى الموت مع الأعداء الذين يريدون أن يفصلوا الإنسان عن خالقه.

ولا شك أن هناك خطورة في ضبط الفكر على من هو مُتسير في العالم، بل وعلى من هو في الدير إن لم يكن بتدبير حكيم بعد سنين طويلة في جهاد مستمر وحسب عطية النعمة.

❖ ثم سأله راهب آخَر:

وما هو حد الصلاة الدائمة؟

أجابه الشيخ قائلاً:

حين سأل أحد التلاميذ مُعلّمه عن الصلاة الدائمة قال له: افرح يا أخي افرح أيها الوارث معي إن حد الصلاة الدائمة هو للذين كملوا لأنهم إذا وصلوا للكمال يعرفون مقدارها وهى تكون لهم من ذاتها لأنه مكتوب: "الروح يشفع فينا بأنات لا ينطق بها".

❖ زار أبانا متاؤس السرياني مجموعة من الرهبان وقالوا له:

ما هى أسباب ضعف الجيل الرهباني هذه الأيام؟

فتنهد الشيخ قائلاً:

كثيراً ما نُخطئ حينما نظن أن القداسة والحياة الروحية السليمة ما أسهل الوصول إليها في أقصر وقت، ونظن أيضاً أن نوال المواهب يتأتى لنا إذا ما جاهدنا بكل قوانا واعتمدنا على برنا الشخصي ونظن أننا سنصبح قديسين بتقليد سير القديسين، وهكذا تجدنا في عبادتنا نقلدهم في حياتهم من صوم وصلاة وسهر وميطانيات وحبس وصمت

ودموع ووحدة..الخ وهكذا تكون حياتنا شكلية وتمثيلية وتقليدية لا غير، وبذلك نعيش بعيداً جداً عن حقيقة ذواتنا. وتمر الأيام والسنون وقليلاً قليلاً تفتر حرارتنا الأولى وإذ بنا نرتد على أعقابنا. فلا نحن وصلنا ولا سرنا في جهادنا بل نقف حيارى تائهين مذهولين وفي أعماقنا أسئلة لا ندري لها إجابة !! أين نحن الآن؟! وما نهاية كل هذا؟! وكيف نستطيع أن نُكمل؟! وذلك لأننا لم نذق طعم حلاوة الروح إذ نشعر بجفاف وعدم تعزية ونسير كأننا في ظلام لأن الشعلة التي كنا نظن أنها متقدة انطفأت. ونكون بذلك قد شابهنا شجرة التين ذات الأوراق الخضراء ولكن بدون ثمر. لقد جاء السيد المسيح ليجد ثمر الروح في النفس فلم يجد سوى ورق أي أعمال الجسد الظاهرة الشكلية فقط فهو يطلب فضائل النفس الداخلية وثمار الروح. فكانت النتيجة أنه لعنها فيبست في الحال.

سُئل مرة أنبا أغاثون: أيهما أعظم تعب الجسد أم الاحتفاظ بما هو في داخله؟ فأجاب وقال: إن الإنسان يشبه شجرة. فتعب الجسد هو الورق أما المحافظة على ما هو من داخل فهو الثمرة. لذلك فكل شجرة لا تُثمر ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النيران. فلنحرص على الثمرة التي هي حفظ العقل. كما يحتاج الأمر أيضاً إلى الورق الذي يُغطي الثمرة ويزينها. وما الورق إلا تعب الجسد كما ذكرنا.

❖ سأل راهب قائلاً:

هل إذا قرأت سيرة قديس وأعجبت به، وأردت أن أتشبه به، فهل هذا فيه شيء من الخطأ؟

فنظر إليه الشيخ وقال:

يعجبني جداً قول أحد الشيوخ: **إذا رأيت شاباً يصعد إلى السماء بهواه فشد رجله واطرحه فإن هذا أنفع له.**

فمن الخطر والخطأ أيضاً أن نُقلد الذين جاهدوا وانتصروا ووصلوا إلى ملء الروح فليس مجرد قراءة السيرة فقط كافياً لمعرفة حياتهم وتفصيلاتها لأن السيرة التي نقرأها أو نسمعها ما هى إلا جزء بسيط جداً مما اختبروه ومارسوه طوال حياتهم على الأرض وما خفي عنا ولم يكتب عن أفكارهم وأعمالهم وحروبهم وسقطاتهم وانتصاراتهم كان كثيراً جداً وأظن أنه من المستحيل أن يُدَوَّن بتدقيق كل ما حدث لهم طيلة حياتهم على الأرض.

❖ أخبرني يا أبي:

ما هو السبب في انتصار القديسين في جهادهم ضد الخطية؟

أجابه أبونا متاؤس قائلاً:

لعلنا نُدرك السبب في انتصار القديسين في جهادهم ضد الخطية في أنهم كانوا يمتازون بفضيلة مهمة جداً في طريق الجهاد الروحي وهى فضيلة الصبر كما قال الكتاب: "**بصبرِكُمُ اقتَنُوا أنفُسكُم**" (لو ٢١: ١٩) ويثمرون بالصبر. والملاحظ أيضاً أن توالي نقطة الماء على الصخر يثقبه فإذاً يكون للصبر عمل تام.

وإذا نظرنا للطبيعة من حولنا نجدها تُعلمنا في كل ما يدور حولنا أنه لا بد من النمو الطبيعي الذي يأخذ مجراه. وقد ضرب لنا رب المجد مثلاً عن حبة الحنطة وطريقة نموها وقال: "**لأنَّ الأرض من ذاتها تأتي بثمرٍ. أوَّلاً نباتاً، ثمَّ سُنبُلاً، ثمَّ قمْحاً ملآنَ في السُّنبُل**" (مر ٤: ٢٨).

كذلك أولاد الله الذين يحبونه ويعبدونه بالروح والحق ومن أجله يحتملون كل شيء بصبر ويتكلون عليه في كل شيء وفي كل تجربة أو حرب من الأعداء فإن هؤلاء هم الذين ينمون في روحياتهم نمواً طبيعياً هادئاً ليس في قفزات سريعة ولا اعوجاج ولا اشتياقات ملتهبة سرعان ما تنطفئ. هؤلاء هم الذين زُرعوا في الأرض الجيدة الذين يسمعون الكلمة فيحفظونها في قلب صالح ويثمرون بالصبر.

❖ سأل أب أبانا متاؤس السرياني قائلاً:

متى يكلل الراهب بالمواهب والثمار الروحية؟

أجابه الشيخ قائلاً:

المواهب والثمار الروحية تكون دائماً بعد فترة طويلة من العبادة الحقيقية ومحبة الله في تكميل وصاياه، ولذلك تكون ثابتة وأكيدة كما يخبرنا المزمور: "أيضاً يثمرون في الشيبة يكونون دساماً وخضراً". لذلك تكثر النعم حينما تملك النفس صحتها وتمتلئ بالسلام، وتخف حدة الحركات، وتتهيأ النفس لحلول عريسها السماوي، فحينئذ تبطل عنها ظلمة الآلام وتستنير.

وكما قال القديس إشعياء الإسقيطي:

الذين يتشبهون بالقديسين في الأول ما يصلوا لأن البرفير ما ينصبغ في أول غطسة وكذلك الشجرة إذا كانت أغصانها لينة غضة سهل رجوعها وانحناءها فهكذا كل مبتدئ يكون في الطاعة أولاً.

فلنصبر إذاً وننتظر طويلاً ولنجاهد بتؤدة وتعقل وحكمة حتى ولو لم نُعطي مواهب في هذا الدهر لأننا للمسيح فقط طالبين وليس لمواهبه.

ولنحتمل حر الصيف وبرد الشتاء حتى تنضج الثمرة ونصير في حلاوة الروح أما الثمرة التي تُقطع قبل أن تنضج فتكون مرة الطعم لا تؤكل فترمى.

قال مار إسحاق:

إن الفضائل لا تُكتسب من كلام الكتب بل من تجربة طويلة قد يكون إنسان ساذج يعمل عملاً أفضل ممن كان عالماً في سيرة الروح بواسطة سطور الكتب والتسليم عن الآخرين فقط بلا تجربة واختبار.

وقال أيضاً: **كل موهبة تحصل عليها بدون تعب اعتبرها كالسقط الذي لا نفس له.**

❖ قُلْ لي يا أبي:

هل يلزم أن نقدم توبة في نهاية كل يوم؟

أجابه أبونا متاؤس قائلاً:

حياتنا هنا في الجسد وفي هذا العالم الشرير كل يوم معرضين لأخطاء لأن عدونا قاسي وطبيعتنا فاسدة. لذلك يلزمنا دائماً وفي نهاية كل يوم قبل أن نرقد على فراشنا أن نقدم توبة عما حدث عنا في نهاية هذا اليوم.

فمغبوطة هي النفس التائبة والمستعدة دائماً لملاقاة العريس السمائي والله سبحانه طويل الروح وكثير الرحمة ومن يُقبل إليه لا يخرجه خارجاً، فهو لا يشاء موت الخاطئ مثل أن يرجع. لأننا في الآخرة لا نُدان لأننا أخطأنا بل نُدان لأننا لم نتب.

❖ زار راهب مُجاهد أبانا متاؤس السرياني وسأله قائلاً:

ما الفرق بين جهاد الراهب وجهاد أهل العالم؟

أجابه الشيخ قائلاً:

ما أشق وأقسى جهاد الراهب فالإنسان الذي يُجاهد نحو الكمال وهو في العالم يستطيع بل ومن السهل عليه أن يقنع نفسه أنه مُتمم الوصايا إذ أنه يحيا في الظاهر ويهتم بالشكليات أكثر منه في الحقيقة.

أما الراهب فجهاده داخلي روحي فهو يهتم كيف تقتلع الآلام التي في النفس من جذورها وتستأصل كلية، ويحيا مع الله حياة داخلية بلا حاجز أو مانع.

ولكي يصل إلى الكمال في المسيح يسوع عليه أن يحب الله من كل قلبه ومن كل فكره ومن كل نفسه ومن كل قدرته فالأمر يقتضي أن يحفظ أفكاره إذ أنه ليس للآلام وللخطية مدخل في الإنسان إلا بواسطة الفكر.

لذلك يكون الراهب كالجندي الحامل سلاحه لمواجهة العدو وطرده، ولا يُعطيه فرصة للتفاوض بشأن أي فكر لأن في التفاوض قبول للفكر وحتى لو لم يقبله فيكون العقل قد تدنس لحين طرد الفكر منه فيجب أن لا نتفاوض مع الفكر بتاتاً. وهكذا ينبغي للراهب أن يكون دائماً يقظاً وساهراً لئلا تسلب منه أمتعته.

❖ سأل أخ أبانا متاؤس السرياني قائلاً:

كيف يبدأ الأخ حياته الرهبانية؟

أجابه قائلاً:

الذي يُريد الرهبنة يترك كل شيء من أجل أن يحيا بلا هم ولا ارتباط بأحد، في عبادة وحب مع المسيح إلهه، ويجاهد أن ينمو في الفضائل وفي معرفة ربنا، ويضاعف الله له عطاياه الروحية في هذه الحياة ويرث الحياة الأبدية. ولكن إن لم يثبت إلى النهاية فسيخسر كل شيء، وهو وإن كان بدأ حياته الروحية سليماً ولكنه إذا لم يتمم إلى النهاية بمعونة الرب ويكون دائماً في جهاد ونشاط ونمو في الروح فلا بد أن يتأخر ويكون من أتى بعده وجاهد الجهاد السليم وثبت إلى النهاية قد سبقه وصار قبله وفاز برضى الرب وبالملكوت.

كل من يسعى للوصول إلى الملكوت السماوي عليه الثبات وضرورة التقدم والنمو وعدم النكوص على أعقابنا إذ يقول: والله الذي بدأ معنا عملاً صالحاً قادر أن يكمل إلى النهاية والرب معنا ما دمنا معه ولكن إن تركناه وابتعدنا عنه فهو يبتعد عنا ولكنه أمين في مواعيده وصادق مع الذين يكملون وصاياه. فلنسأل منه العون دائماً لأننا بدونه لا نستطيع أن نفعل شيئاً.

❖ سأل راهب قائلاً:

إذا وجهت إليَّ كلمة مديح من أحد أرفضها بلساني، ولكني أقبلها في قلبي فماذا أفعل؟

أجابه أبونا متاؤس قائلاً:

ولنحذر أولاً من المجد الباطل الذي هو آفة الفضائل ويهدم برج التقوى. إذن فلنُسرّ بالهزء والهوان والسخرية وكل ما يسوقه عدو الخير لعرقلة طريقنا إلى يسوع حبيبنا، ولا نجعل للمديح راحةً والتذاذاً في أنفسنا، فليس فقط يكفي رفضه باللسان بل من عمق أنفسنا حتى ولو لم نرد بكلمة على من يمدحنا متذكرين أخطاءنا ونقائصنا في الماضي والحاضر "وإن كان الصديق بالجهد يخلُص فأين أظهر أنا..".

❖ أرشدني يا أبي:

فكلما جاهدت، جاءني فكر لكي ما أجاهد أكثر وأشعر في داخلي بزهو وعُجب فماذا أفعل؟

فتنهد الشيخ وقال:

يُعلمنا بولس الرسول كيف أن أعمالنا وجهادتنا مهما كانت لا تستطيع أن تُبررنا. ليس أن معنى ذلك أن لا نعمل ولا نُجاهد، بل أن لا نتكل على برنا كأنه كل شيء، وأن بواسطته نخلُص بل عنصر الإيمان الذي يقوي الرجاء لنكون أهلاً لاستحقاقات آلام الفادي الذي تنازل من أجل خلاصنا وفدانا بدمه الزكي الذي به نتبرر ونخلُص معتمدين على محبته ومعونته ومواعيده الصادقة لأن كل برنا وأعمالنا هي كخرقة الطامث. ليرحمنا الرب.

❖ وسأله راهب آخَر قائلاً:

هل من الخطأ إن سألني أخ وتطرقت في حديثي معه عن بعض المبادئ أو التعاليم في حياتي الخاصة لمنفعته؟

أجابه أبونا متاؤس قائلاً:

لننظر كيف يُعلمنا بولس الرسول "**وأمَّا من افتخر فليفتخر بالرَّبِّ**". كثيراً ما ينسى الإنسان نفسه ويتكلم عن ذاته في بعض مبادئ أو تعاليم في حياته الخاصة تمجد الله، وهو بذلك يريد منفعة سائله أو سامعه، وهنا يفكر سامعه أنه إنما يفتخر بجهاده أو يقول من يسمعه أن ذلك الشخص يريد أن يتمجد بما عمل، بينما كثير من سيَّر الآباء القديسين نسمع أنهما جلسا أو جلسوا يتحادثون بعظائم الله. أي أنهم أرادوا بحديثهم أن يظهروا عمل الله في حياتهم وكيف أنهم بدونه لا يقدرون أن يعملوا شيئاً وكيف أنهم أعطوا هذه النعمة في آنية خزفية ليكون فضل القوة لله لا منا لكي يتشجع وينشط ويثبت من يجاهد في عمل الله. المهم في أثناء الحديث نية المتكلم أن لا يكون غرضه قبول مديح الناس ولو بالفكر حتى ولو سمع من يمدحه لا يُسر أو يتلذذ بكلام المديح في ذهنه. ويستطيع ذلك بتذكر سقطاته وضعفاته السابقة وكيف أن الله ستره ولم يكشفها للمادحين. وإن كان هذا المبدأ لا يوافق الكثيرين وخاصة المبتدئين في الحياة الروحية وليكن دائماً في نية المتكلم هدف إماتة الذات وليتمجد الله في كل قول أو فعل لأن منه وبه الأشياء حيث أننا به نحيا ونتحرك ونوجد.

❖ سأل راهب أبانا متاؤس السرياني قائلاً:

متى تكون الصلاة قوية ومقبولة؟

أجابه الشيخ قائلاً:

تكون الصلاة مثمرة وقوية وفعالة ومقبولة حينما نعتزل عن البشر والأمور المادية والاهتمامات العالمية ولا يتسنى لنا ذلك إلا بالتخلص من كل ذلك والالتجاء إلى البراري.

وهنا ربما يكون المقصود بالبراري، ولا سيما في أيامنا هذه حيث عُمرت البراري ولم تكن كما كانت في الزمان الغابر، فالبرية كناية عن القلب كما قال في موضع آخَر: "ادخل إلى مخدعك أي القلب وصل لأبيك الذي في السماوات".

لذلك ينبغي أن يتفرغ القلب من كل اهتمامات عالمية باطلة ليستطيع أن يتصل بالله بدون عائق. ولا ننكر في هذا الأمر ما لهدوء البرية وسكونها من كل تشويش، فعالية في القلب المرتفع كالنسر الطائر إلى العلو حيث لا معوقات ولا ارتباطات ولا أثقال هذه الحياة تمنع من سموه وارتفاعه إلى أعلى.

إذاً فشرط الصلاة المقبولة والدالة القوية أمام الله هي في طهارة النفس من آلام الإنسان العتيق ونقاوة القلب من أدران الخطية ليكون الإنسان هيكلاً لله.

هذه هي درجة الكمال وحد كل جهاد وحصيلة هذا العمر في حياتنا في الجسد لنؤهل بنعمته أن نكون وارثين أمجاده السماوية. وما يساعدنا في جهادنا هذا إلى أن نصل إلى هذه الأشواق هو انعزالنا في البراري لنُصلي كما فعل الرب.

❖ اجتمع بعض الرهبان مع أبينا متاؤس السرياني وسألوه قائلين:

كيف نبلغ كبشر إلى التخلص من ارتباطات وأثقال هذه الحياة ونتحرر من سجن الجسد لتسمو الروح إلى خالقها؟

أجابهم الشيخ قائلاً:

نعم هناك تداريب روحية اجتازها آباءنا القديسون وبعمل النعمة وصلوا إلى غايتهم وسطروا لنا اختباراتهم وحياتهم وعشرتهم مع الله ووصلت إلينا مكتوبة في سيرهم ولم تكن حياتهم مع الله من اختبارات وحروب وسقوط وقيام وفشل ونصرة هي بنت أيام قلائل كيقطينة يونان. إنما كانت عبارة عن حصيلة العمر كله حتى استطاعوا أن يغتصبوا ملكوت الله في نفوسهم ويختطفوا عمل النعمة في حياتهم لأنهم بدون الله لا يقدرون أن يفعلوا شيئاً.

وبذلك سُموا قديسين لأنهم تقدسوا به واتحدت نفوسهم بقداسته ولأنهم أخذوا من ملئه وفاضت حياتهم على الآخرين براً وقداسة وطهراً ونقاءً وهم مُثُل عُليا في صمتهم وسكونهم إذا كانوا بعيدين عن الناس. وفي تعاليمهم وإرشاداتهم إذا ما اقتربوا منهم.

وليس معنى هذا أن تقفز في الطريق بعجلة ورعونة وغرور حينما نتذوق قليلاً من حلاوة الله بل ينبغي أن تكون نعمة الإفراز مختلطة بتصرفاتنا على ضوء إرشاد الآباء المستنيرين بالله.

وهناك حينما يعطينا الرب حسب غناه في المجد لا في بر عملناه لأن كل أعمالنا أمامه كلا شيء إذ قد بررنا بدمه الكريم. نعم حينما تشعر بعمل النعمة

في داخلك كن عاقلاً كما كانت العذراء مريم القديسة تحفظ كل ذلك في قلبها وأعطِ المجد لله. **"احفظ كنزك لئلا يبدده اللسان".**

❖ ثم استطرد سؤاله بسؤال آخَر قائلاً:

لم يحدث منذ مائة سنة أو يزيد أن أقبل على الرهبنة وقرع باب الأديرة مثل هذا العدد من الرهبان المثقفين والجامعيين ولكنها مع ذلك ضعيفة وقليلة الثمار فما سبب ذلك؟

أجابه الشيخ قائلاً:

سبق أن قال القديس أنبا أرسانيوس: "أن ألفا فيتا التي يعرفها هذا الأمي لم يتعلمها بعد أرسانيوس مُعلّم أولاد الملوك".

فإن الحياة الروحانية، إن كانت مبنية على كلام الحكمة الإنسانية المقنع فهى ضعيفة وقليلة الثمار، إنما إذا كانت ببرهان الروح وقوة الله الصادرة عن قلب امتلأ بالإيمان والرجاء وحب عميق لذاك الذي نتقدم لنخدمه أو نعبده حينئذ يكون البناء على الصخر فلا تُزعزعه التجارب والآلام بل تزيده رسوخاً وثباتاً وتظهر معدنه وجوهره الأصيل وهذا النوع ينمو ويزدهر روحياً في صمت وهدوء دون ضجة أو ارتباك.

أما تلك النفوس التي تعودت أن تتغذى على الكلام والحكايات والنقاش والجدال وتفسيرات وتعليمات عديدة التي يقول عنها بولس الرسول: كلام الحكمة الإنسانية المقنع، نرى أنها كثيراً ما خارت في الطريق لأنها معتمدة على عصا رخوة **"لأنَّ ملكُوتَ اللَّهِ ليسَ بكلام بل بقوَّة"** (١كو ٤: ٢٠). وهذا

ما يفسر لنا جهاد آبائنا الأوائل العظام سواء كانوا أساقفة أم شهداء أم رهبان كيف كانوا عظماء حقاً في حياتهم لأنها كانت نابعة من قلب امتلأ بالنعمة فجاهدوا وانتصروا ووصلوا إلى غايتهم وهم في عمق الاتضاع.

ليُعطينا الرب من روحهم.

❖ سأل راهب أبانا متاؤس السرياني قائلاً:

كيف نجح وانتصر آباؤنا الأوائل الأماجد في حياتهم الروحية وسَموا في الفضائل، وكانت لهم صلتهم القوية بربهم واقتنوا منه دالة وفرح بهم وأحبهم إلى المنتهى؟

أجابه الشيخ قائلاً:

ذلك أنهم تركوا كل شيء وتبعوه بقلوبهم ولم يرتبكوا بأعمال هذه الحياة ولم يجعلوا أي هَمْ يعوقهم في الوصول إليه لذلك كانوا رجال صلاة. ولأنهم علموا أن أي هم خارج عن محبة الله إنما هو عائق ومعثر في الطريق لأجل ذلك هربوا إلى البراري والقفار لا عن فشل في الحياة أو جُبن من شيء إنما ليخلوا قلوبهم من اهتمامات وارتباكات الدنيا الفانية ويكون القلب مهيأً ومكرساً لحلول الرب. "**لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كلَّه وخسر نفسه؟**" (مت ١٦: ٢٦).

فالراهب المتجند المتسلح بسلاح الإيمان والصلاة والمتفرغ للجهاد الروحي ضد عدونا الشيطان هو الذي يغلب وينتصر ويأخذ الإكليل، أما الجندي الذي يهمل في قوانينه وواجباته الروحية من حفظ وصايا سيدنا وتعاليم آباء البرية ويغفل

ويتهاون متكاسلاً ومتقاعساً بحجة اهتمامات باطلة وارتباكات دنيوية غريبة عن مجال جهاده القانوني ودعوته التي دُعي إليها. هذا يكون بمثابة جندي له شكل الجندية ولكنه ترك بل رمى سلاحه وهو نائم في ميدان القتال فتكون النتيجة الحتمية هو تَغلُب العدو عليه وامتلاكه إياه "**من أجل ذلك احملُوا سلاح اللَّه الكامل**" (أف ٦: ١٣). "**طُوبى لأُولئك العبيد الذين إذا جاء سيِّدهم يجدُهُم ساهرين**" (لو ١٢: ٣٧). أما الذي يجده متغافلاً فإنه غير مستحق المضي معه. ليجعلنا الرب جنوداً أُمناء له مستحقين لدعوته الرهبانية مؤهلين لملكوته السمائي.

❖ ثم سأله راهب آخَر قائلاً:

كيف نجح آباؤنا وانتصروا في جهادهم؟

أجابه أبونا متاؤس قائلاً:

ساعدتهم بساطتهم إذ كانوا شاعرين بضعفهم وعجزهم وعدم معرفتهم ليكمل فيهم قول الرب: "**لأنَّ قُوَّتي في الضُّعف تُكمَلُ**" (٢كو ١٢: ٩) لذلك نالوا بإيمانهم وتمموا خلاصهم بخوف ورعدة واتضاع فسلِموا من فخاخ العدو الكثيرة وجازوا في النار والماء محروسين بقوة الرب وانتصروا في جهادهم وفي النهاية نالوا إكليلهم إذ غلبوا بدم الحمل.

فلنحذر إذن من الحرفية المتشامخة في مظهر حفظ الوصية ولنهتم بالحفر والتعميق ووضع الأساس على الصخر لكي يكون بناؤنا ثابتاً وإلا سقط "**وكان خرابُ ذلك البيت عظيماً**" (لو ٦: ٤٩).

❖ قُلْ لي يا أبي:

كيف يثبت الراهب في الدعوة الرهبانية؟

أجابه أبونا متاؤس قائلاً:

لا يستطيع الراهب أن يثبت في الدير مجاهداً الجهاد القانوني في العبادة وحياة التوبة محتملاً ما يتبع هذه الحياة من أتعاب وتجارب وأمراض وبلايا من الناس والشياطين، لا يستطيع أن يثبت في هذه الحياة إن لم يكن له إيمان قوي، إيمان بالله الذي كان مع الثلاثة فتية وأنقذهم من الأتون وكان مع دانيال وخلصه من الأسود وكان مع يوسف وحفظ عفته وكان مع أيوب وشفاه من بلاياه. ثم إيمان بالطريق الرهباني وأن هذه هي حياة العمر كله. ومن هو تائب فليعلم أن التوبة لا تكمُل في السجس لأنه "**بالرُّجوع والسُّكُونِ تخلُصُونَ. بالهُدُوء والطُّمأنِيَة تكونُ قوَّتكُم**" (إش ٣٠: ١٥). و "**نصيبِي هُو الرَّبُّ، قالت نفسي، من أجل ذلك أرجُوهُ**" (مرا ٣: ٢٤).

وهذا الإيمان ينبغي أن يتعمق في قلب الإنسان بأن تعبه ليس باطلاً في الرب "**لأنَّ الرَّبَّ إلهُ حقٍّ. طُوبى لجميع مُنتظرِيه**" (إش ٣٠: ١٨). وكما يقول مُعلّمنا بولس الرسول: "**أمينٌ هو الرَّبُّ الذي سيُثبِّتكُم ويحفظُكُم من الشِّرِّير... والرَّبُّ يهدِي قُلُوبكُم إلى محبَّة اللَّه، وإلى صبر المسيح**" (٢تس ٣: ٣ - ٥).

وما يُقَوي الإيمان، حياة الثبات في الدير، والمثابرة في العبادة والتقوى، مع تكميل الوصايا بروح التوبة التي هي حياة الموت التي بدأها الراهب حين صلوا عليه واعترفوا به أنه راهب.

❖ سأل راهب أبانا متاؤس السرياني قائلاً:

كيف يحيا الراهب حياة الموت؟

أجابه قائلاً:

أرى أن الميت لا شهوة له لا في وظائف عالمية، أي خدمات خارج الدير، أو مراكز دينية أو خلافه.

ثم أن الذي يشعر أنه ميت عن رغبات الإنسان العتيق بكل ما فيها، يعتبر نفسه أنه آخِر الكل وأقل الجميع وبذلك يحتمل الإهانات والازدراء والاحتقار من الآخرين ولا يحب التقدم أو الترأس على إخوته ولا يُنصب نفسه مُعلّماً ومُرشداً إلا في حدود وصية المحبة حين يلتجئ إليه أخ مُتعب مجرَّب فيعزيه ويواسيه ويشجعه في الطريق وذلك حتى يتفادى الأنانية ويسمع قول مُعلّمنا بولس الرسول: "**احملُوا بعضُكُم أثقَالَ بعضٍ، وهكذا تمِّمُوا ناموس المسيح**" (غل ٦: ٢). مثل هذا الراهب الذي يستعد للموت الحقيقي أظن أنه لا تستطيع قوة أن تنزعه من حياته التي التقى فيها بيسوع رجاءه وتعامل معه سنيناً عديدة فهو منتظر في هذا المكان (الدير) انطلاقه من الجسد لينعم بمن أحبته نفسه ومن هنا يأخذ العربون.

❖ سأل أب قائلاً:

إن كانت الرهبنة حياة توبة، فما هى علامات قبول التوبة، وهل هى محددة بوقت؟

أجابه أبونا متاؤس قائلاً:

حيث أن الرهبنة هى **حياة التوبة** لذا يُجاهد الراهب في صلواته وعباداته وانسحاقه أمام الله إلى أن تشرق النعمة في نفسه ويحس

بعمل الروح القدس في داخله فتمتلئ نفسه بالتعزيات وتهدأ روحه من الاضطرابات ويقوى إيمانه بالرب وتموت شهوات العالم والجسد ولذاته من ذاته. ويبتدئ عقله يُفكر دائماً في السماويات لا الأرضيات.

كل هذا منبعه نقاوة القلب فيتنظف القلب ليصير محلاً لسُكنى الله ومنه تشع الحياة في كل النفس، حياة نقية صافية من كل غش وخبث ورياء، حياة طاهرة مملوءة حباً وعطفاً وتسامحاً للجميع وعلامة هذه الفضائل كلها هو الاتضاع إذ أن الاتضاع أرض حاملة الفضائل.

هذه هى ثمار الروح وهذه هى دلالة نمو الراهب وهذا هو أوان الحصاد بعد تعب الغرس والزرع والسقي ويعودون بالفرح حاملين أغمارهم (مز ١٢٥: ٣ قبطي).

وتكميل التوبة لا يتم في يوم وليلة أو سنوات قلائل إنما هو نتيجة العمر كله في طريق العبادة النقية الخالية من كل شهوة وإرادة ذاتية ناظرة إلى الأمور السمائية وحاشا لله تعالى أن يرد من أقبل إليه طالباً وجهه ورحمته بل هو القائل "**ومن يُقبل إليَّ لاَ أُخرِجهُ خارِجاً**" (يو ٦: ٣٧).

ومما يعيق النمو الروحي في هذه الأيام هو تسرع الراهب العابد الذي يُريد أن يجني الثمرة قبل أن تنضج وأن يحصد قبل أن يزرع بكد وتعب.

إذن فلنصبر ونشكر الله على كل شيء ما دمنا سائرين في الطريق حتى ولو لم نأخذ شيئاً من عطاياه الروحية هنا ولكنه تعالى أمين وعادل فيُعطينا هناك في المجد وهذا أفضل بكثير.

❖ عرفني يا أبي:

ماذا يقصد إشعياء النبي بقوله: "أجعل في البرية طريقاً، في القفر أنهاراً. يُمَجِّدني حيوان الصَّحراء، الذئاب وبنات النعام، لأني جعلت في البرية ماء، أنهاراً في القفر، لأسقي شعبي مختاري. هذا الشعب جبلته لنفسي. يُحَدِّث بتسبيحي" (إش ٤٣: ١٩ - ٢١)؟

أجابه أبونا متاؤس قائلاً:

أليست هذه نبوة تُشير إلى الرهبنة العابدة في الجبال والقفار والصحاري. فحينما يقول أجعل في القفر أنهاراً فهذه إشارة إلى النفوس التي تركت العالم وأتت إلى البرية لترتوي من مياه النعمة وتمتلئ بعمل الروح القدس الذي أخذ من فيضه القديسون وكما قال السيد المسيح: "**إن عطش أحدٌ فليُقبل إليَّ ويشرب**" (يو ٧: ٣٧).

وقوله يُمجدني حيوان الصحراء الثعالب وبنات النعام إشارة إلى الرهبنة حيث أقبل إلى الصحراء أُناس مختلفو الطباع والأخلاق فيهم من هو طبعه شرس كالوحش فصيرته التوبة، وبعمل النعمة في البرية، قديساً عظيماً كأنبا موسى الأسود، وفيهم الماكر والوديع. كل هؤلاء أقبلوا إلى البرية وحياة الرهبانية فطبختهم وعجنتهم الأيام والسنين والتجارب وأخيراً هيأتهم النعمة لتُخرج من هذه النفوس القفرة والأرض المجدبة الخالية من الفضائل مياهاً وأنهاراً وتعاليماً محيية ومعارف روحية واختبارات عملية. لذلك من البرية خرج عمالقة الروح والعلم والمعرفة على مر تاريخ الكنيسة الطويل وحينما اختارهم الرب للرعاية وخدمة الشعب في العالم فكانوا سبب بركة عظيمة وحافظوا على الإيمان القويم وهذا

مـا يعنيـه الـوحي بقولـه: "**لأسقِي شعبِي مُختَارِي**". ومـنهم، وهـذه هـى الغالبيـة العظمى، من اختار حياة الوحدة والسـكون والانقطاع عـن العـالم للتعبد وتمجيد الخالق وتسبيحه وهنا يقول الوحي: فهم يحدثون بحمدي.

❖ سأل راهب مُجاهد قائلاً:

ما هو المقياس الروحي للراهب الحقيقي؟

أجابه أبونا متاؤس قائلاً:

شعورنا بأننا رهبان وأننا كبار في السن أو لنا سنين عديدة في الرهبنة أو لنا علم ومعرفة بأمور الدين والدنيا. كل هذا باطل ولا يقدمنا في الروحيات شيئاً إن لم تتأصل هذه الفضائل فينا وتتأسس وتنغرس في أعماق النفس، وهى عدم الخبث وعدم المكر وعدم الرياء والحسد وكل مذمة. ولأن هذه الأمور إن لم توجد في النفس فهذا دليل على براءة الطفل الذي ليس عنده شر وكل منا يعلم أن الطفل غذاءه الوحيد هو اللبن، هكذا يتغذى عقل الإنسان بالنعمة الطاهرة التي ليس فيها خمير الشر وتكون سبباً فعالاً في نموه في القامة والنعمة والحكمة عند الله وفي معاملته مع الناس.

"**إن لم ترجعُوا وتصيرُوا مثل الأولاد**" (مت ١٨: ٣).

هذا هو شرط النمو والتكامل للإتحاد بالله ومن هنا يظهر لنا مدى الشطط والانحراف الذي نسير فيه كرهبان اكتفينا بالفضائل الظاهرة من صوم وصلاة وسهر وتقشف وبقية الجهادات من صمت وحبس وخلافه ولكن بقيت العظام المنتنة داخل القبور المبيضة فيلزمنا أن نتذلل ونتواضع عند أقدام المُخلِّص لأنه

وحده الذي يستطيع بكلمة واحدة أن يقول للميت الذي أنتن هلم خارجاً فيقيمنا من خطايانا وبدل ضعفاتنا يُعطي نعمة وقوة ونمواً في الروح إن رأى مدى اشتياقنا إليه وعدم رضانا عما نحن فيه من توان. "**لِيُعطكَ حَسَبَ قَلبكَ**" (مز ٢٠: ٤).

هذا ما جاهد فيه القديسون طول حياتهم ليحرصوا على نقاوة القلب "**طُوبَى للأنقيَاء القلب، لأنهم يُعَاينُون اللَّه**" (مت ٥: ٨). ومن هذا نعرف كيف بنوا حياتهم على أساس سليم على الصخرة التي لا تتزعزع فارتفع البناء شامخاً لا تهزه الرياح ولا العواصف ولا مياه البحر ورموا البذرة في الأرض الجيدة فحين ماتت أتت بثمار ثلاثين وستين ومائة. هذه هى الرهبنة ليُعطنا الرب نعمته.

❖ حضر لزيارة أبينا متاؤس السرياني مجموعة من الرهبان وسألوه قائلين:

هل هناك خطورة في الخلط بين الطريق الرهباني وطريق العالم؟ وما هى المميزات التي يحصل عليها الراهب من ثباته في دعوته إلى النهاية؟

أجابهم الشيخ قائلاً:

ما أجمل أن يُكمل الإنسان دعوته التي دُعي إليها ثابتاً فيها إلى النهاية. ولكل دعوة جهادها القانوني أما الخلط بين طريقين فهذا خطأ واضح كما يخبرنا العظيم في العارفين القديس مار إسحاق حيث يقول: **إن كنت علماني تَسَيَّر بسيرة العلماني وإن كنت راهب عش كمتوحد أما إن جمعت بين الطريقين تخيب من الاثنين.**

من أجل هذا تكلم بالروح القدس مُعلّمنا بطرس قائلاً: "**اجتهدُوا أيها الإِخوةُ أن تجعلُوا دعوتكم واختياركم ثابتين**" ولكن عدو الخير لمعرفته أن في الثبات إنتاج وثمار لذلك يعمل كل جهده من أجل زعزعة الأفكار وقلقلة الراهب من ديره بكل الوسائل ويشن الحروب والمضايقات **لعلمه أن في ثباته خلاص أكيد.**

وكما يتمم الآية بطرس الرسول: "**لأنكُم إذا فعلتُم ذلك لن تزِلُّوا أبداً**". ففي ثبات الراهب في مكانه وجهاده قدر استطاعته بإيمان ورجاء حفظ كبير من الخطأ والزلل. وبينما الراهب يجاهد لتخفيف أحماله والتخلص من الخطايا القديمة والأفكار الشريرة، وهذه نتيجة أكيدة لثمرة ثباته، نجده حينما يغير وضعه بما هو ضده يزداد أحمالاً وتدخل نفسه في شباكات وصراعات متنوعة تبعده بعيداً عن هدفه الأول السامي والمرتفع جداً عما فيه.

لذلك يأمرنا مُعلّمنا بطرس الرسول **اجتهدوا** إذا هناك جهاد وليس الأمر يسيراً فلا نترك الحبل على الغارب ولا نترك أنفسنا لتختار ما تشتهي.

فالحياة لله لها دستور ولها قانون ولها طريقها الخاص غير الملتوي فلا تعرج بين الطريقين والله طريقه مستقيم. من الله نطلب الثبات في الدعوة.

❖ سأل أخ أبانا متاؤس السرياني قائلاً:

ماذا ترى يا أبي، هل من الأفضل أن يطلب الإنسان من الله ما يريده، أم يطرح أمامه اشتياقات قلبه ويتركه يدبر الأمر؟

فنظر إليه الشيخ وقال:

الله الذي هو فاحص القلوب ومختبر الكلى يعلم أعماق القلب ويعطي كل إنسان حسب طرقه "**ليُعْطكَ حَسَبَ قلبك**" (مز ٢٠: ٤).

ولذلك ندعوه أيضاً ضابط الكل فهو عالم بأحوالنا دخولنا وخروجنا قيامنا وجلوسنا نيات قلبنا وأشواقنا واتجاهاتنا وأفكار قلبنا الخفية. وكثيراً ما نتعجب حين نرى أوضاعاً وأموراً لا يقبلها عقلنا البشري وتفكيرنا القاصر ونحن لا نعلم أنها عُملت بحكمة سامية ومقاصد إلهية.

وفي نهاية كل أمر إذا نظرنا إليه بعد حين نزداد عجباً إذ نرى أن هذا كان أنسب شيء يُعمل في حينه، أو أن هذا الشخص هو أنسب إنسان يوضع في مكانه حيث ينتج ويثمر حسب مواهبه المعطاة له من الله. فتبارك إلهنا العظيم الذي يُعطي كل إنسان شهوة قلبه لتعزيته وتثبيته ونموه وأخيراً يطلب منه الربح.

إذاً فلنُسلم له حياتنا بإيمان وثقة واتكال ونطرح أمامه أشواق قلوبنا فهو تعالى يرى المكان والزمان اللائقين حيث يُعطي ولا يعير ولا يطلب منا سوى الشكر مع الرضى ويُسر براحتنا لأنه محب البشر ولذاته في بني آدم تبارك وتعالى في كل حين.

❖ سأل راهب قائلاً:

كيف أتجنب محبة الذات؟

أجابه أبونا متاؤس قائلاً:

أنواع المحبة للذات كثيرة وعديدة بل ظاهرة للشخص نفسه وأحياناً لمن هم حوله، غير أن هنالك ما يخدع الذات لأن الطرق والحيل للخداع سواء يمينية أم يسارية كثيرة. ولكن ما يجنبنا محبة الذات ويطمئنا على تنفيذ وصية السيد المسيح: "**إن أراد أحدٌ أن يأتِي ورائِي فليُنكر نفسه ويحمل صليبهُ ويتبعني**" (مت ١٦: ٢٤). هى فضيلة **التواضع** فالشخص

المتواضع حقاً وليس زيفاً أو شكلاً أو رياءً والذي ينبع التواضع من داخله شيئاً تلقائياً طبيعياً هو بذاته محباً لله منكراً للذات ولكل شهواتها المختلفة، ولعلّ أهمها وأصعبها محبة الرئاسة بكل صورها المتعددة والتقدم على الآخرين لأن هذا مرض خطير كما عرَّفنا آباؤنا القديسون وكيف وصلوا في حياتهم الروحية إلى درجات سامية بعد أن فازوا بالغلبة على كل هذه الضعفات الكامنة في أعماق النفس.

وكثيراً ما يكون حكم الناس بخلاف حكم الله لأن الإنسان ينظر إلى العينين أما الرب فإنه ينظر إلى القلب.

وسيرة كل الآباء القديسين تُبين مدى إماتتهم للذات لذلك دعوا قديسين. ولكن ما أصعب موت الذات في النفس بروح الاتضاع الكامل لتؤهل الإنسان إلى محبة الله، وبذلك ينسى كل ما لذاته ويحيا كملاك على الأرض لا هَم له سوى تسبيح وعبادة ورضى الرب الإله يسوع الحبيب.

❖ قُلْ لي يا أبي:

ما هو الشرط الأساسي في النمو الروحي للراهب؟

أجابه أبونا متاؤس قائلاً:

كما نقرأ في سير الآباء الرهبان جميعاً نجد الشرط الأساسي في نموهم الروحي هو **تواضعهم وإنكارهم للذات** فكانت كل حياتهم عبارة عن جهاد مُميت في كيفية موت الذات ليحل محلها المسيح. **فبمقدار نزول الراهب إلى أعماق الاتضاع بمقدار ارتفاعه إلى علو الفضيلة**. وحين سأل القديس موسى الأسود الأنبا زكريا من هو الراهب؟

خلع أنبا زكريا قلنسوته التي تُشير إلى كرامة الراهب ووضعها تحت أقدامه وقال: إن لم يكن هكذا فلا يستطيع أن يكون راهباً.

وفي كثير من سير القديسين الذين كانوا قديسين حقاً ويصنعون العجائب وحينما يسمعوا أنهم سيكرموا من الناس كانوا يتظاهرون بالجهل والعبط حتى **لا تغرق سفينة حياتهم في بحر المجد الباطل.**

أما الآن قبل أن يتعلم الراهب يصير مُعلماً! وقبل أن يتتلمذ يصير أباً ومرشداً لآخرين! والكل أُعجب بفضيلة الاتضاع وإنكار الذات ولكن للأسف شكلاً ومظهراً والدليل على ذلك حين يأتي محك التجارب ترى وتسمع العجب.

فما أحوجنا اليوم أن نفوق من كبريائنا واعتدادنا بالذات ونعمل بقول السيد المسيح: "**إن لم ترجعُوا وتصيرُوا مثل الأولاد فلن تدخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوات**" (مت ١٨ : ٣) والرب يحفظ الأطفال. ليُعطنا الرب نعمته.

❖ زار بعض الرهبان أبانا متاؤس السرياني وسألوه قائلين:

ما هو مصدر الحكمة عند الرهبان؟

أجابهم الشيخ قائلاً:

يُعبر بولس الرسول المُتعلم والفيلسوف عن عمل الروح القدس في النفس، حيث يعتبر حكمة هذا العالم أنها جهالة إذا قيست بروح الله الساكن في قديسيه. بهذا الروح عاش آباؤنا القديسون في البراري والصحارى والقفار معوزين محتاجين أميين في العلم ولم يكن العالم مستحقاً وطأة أقدامهم. بل أتى إليهم حكماء هذا العالم والملوك والعظماء وجلسوا عند أقدامهم لينهلوا من علمهم الروحي ومعرفتهم وحكمتهم السامية

السمائية المعطاة لهم من رب الحكمة "**لا بأقوال تُعَلِّمُهَا حكمةٌ إنسانيَّةٌ، بل بما يُعَلِّمُهُ الرُّوحُ القُدُسُ**" (١كو ٢: ١٣). هذا هو المُعلم الحقيقي الأوحد كما قال السيد المسيح: "**وأمَّا المُعَزِّي، الرُّوحُ القُدُسُ، الذي سيُرسلُهُ الآبُ باسمِي، فهو يُعَلِّمُكُم كُلَّ شيءٍ، ويُذكِّركُم بكل ما قُلتهُ لكُم**" (يو ١٤: ٢٦).

❖ ثم سأله راهب آخَر قائلاً:

كيف يحصل الراهب على عمل الروح في داخله؟

فنظر إليه الشيخ وقال:

ليس لدينا إجابة على هذا السؤال سوى أنه ليس هناك بديل ولا علاج لأمرنا إلا بالرجوع إلى الوراء والتأمل العميق في خط سير الأقدمين الأوائل من آبائنا القديسين الذين اقتنوا دالة مع إلههم، فوهبهم نعمته بغزارة إذ طلبوه بكل قلبهم بعد أن كسَّروا كل أصنام الشهوات والرغبات بكل أنواعها.

فالله أمين في مواعيده وعطاياه بسخاء وإذا أعطى لا يُعير ولا يطلب العوض بل مجاناً يُعطي بلا كيل لمن طلبه بكل القلب ولم يلتفت إلى الوراء كامرأة لوط.

هناك في البراري في السكون والهدوء في الموت عن العالم في الإتحاد بالله عملت النعمة في المئات والآلاف من الرهبان المنكسرين والمنسحقي القلب كان لهم غذاء الروح حيث تفرغ الداخل من كل ما هو باطل فأُهل للملء بكل ما هو طاهر (الرب).

❖ مرةً سُئل أبانا القمص متاؤس السرياني:

الكل يبحث ويتبارى في البحث والتفتيش عن الوصول إلى الله تعالى فذاك يفضل الصوم والنسك، وهذا يقول السهر وعدم القنية وآخر يمدح العفة وآخر ينشط في الخدمة وهكذا هلم جرا. فماذا تفضل قدسك؟

قال لهم الشيخ:

لعلى أنا آخِرهم كلهم أقول بجهل وعدم معرفة **ليس هناك أفضل من الالتصاق بالله**. فما الذي فعلته مريم التي مُدحت من الرب سوى جلوسها عند قدميه تسمع صوته وتتأمل وجهه لتتحد به فعملها هذا الصامت هو أكبر دليل على محبتها للسيد المسيح له المجد، ثم المرأة الخاطئة التي مسحت قدميه بالطيب فاستحقت أن يُغفر لها كثيراً لأنها أحبت كثيراً هذا أيضاً عمل محبة، وليس معنى قولنا الالتصاق بالرب أن نلغى الجهادات المعروفة في طريق الفضيلة، ولكن ليس معنى ذلك أن نُركز كل جهدنا عليها كأنها غايتنا في الحياة الروحية، **إنما هى وسيلة فقط تُساعدنا على التصاقنا وثباتنا في محبة الرب.**

وحينما يرى الرب صبرنا ومداومتنا على طلبه وقرع بابه حاشاه أن يصدنا. هو فقط يتأنّى ويُطيل أناته كثيراً ليختبر مدى أمانتنا في محبته. هل ننتظره لغرض ما؟ وحين يرى سلامة قصدنا، هو تعالى المتواضع الحقيقي يتنازل ليغمرنا بفيض حبه. ومَن نحن التراب والرماد حتى نقول أننا نحب الله؟ لكنه تعالى في شامل عطفه وحنانه يهبنا حبه إذ يُظهر بنعمته إنساننا الداخلي ويحل فيه، فتغلي قلوبنا

بمحبته وتلهج ألسنتنا بحمده وتسبيحه وتكون كل أعمالنا منه وبه فتصير ممارستنا للفضيلة تلقائياً دون عناء لأنها صادرة منه هو الساكن في هياكلنا "**لأنكم بدُونِي لا تقدِرُونَ أن تفعَلُوا شيئاً**" (يو ١٥: ٥).

تُرى كيف كان يمكننا أن نحظى بإلهنا لو لم نكن ملتصقين به ومنتظرين عمله هذا أملنا وهذا رجاؤنا ولعله كان المحور الأساسي في عمل آبائنا رهبان الصحاري والقفار وسكان الأديرة بركتهم فلتكن معنا آمين.

❖ سأل أخ أبانا متاؤس السرياني قائلاً:

ما هى علامات نجاح طريق الإنسان؟

أجابه الشيخ قائلاً:

العلامة الأكيدة والثقة الوطيدة بنجاح طريق الإنسان فليسأل كل منا ذاته قبل أن يحكم على الآخرين أو يُحكم فيه منهم هل أنا إنسان منقاد بروح الله؟ أي **أترك نعمة الله تعمل في وبي وأقف صامتاً أتأمل عمله العجيب في الآنية الضعيفة التي هى أنا** كما كانت العذراء مريم تحفظ كل هذا في قلبها إلى أن تم الميلاد العظيم. أم أنني أعتمد على أعمالي وخبراتي الشخصية وذكائي وعلمي وتخطيطي وتشريعي وتفسيري لكل الأحداث. وهنا يدخل معي خلسة شيطان ماكر يفلسف كل عملي وقولي بآيات مقدسة من الإنجيل ليزيد من توهاني وبعدي عن المسيح وعمل نعمته، وأخيراً في النهاية تتضح لي الحقيقة المُرة أن كل بنائي وكل جريي وخدماتي بأنواعها الشتى انهارت وكأنها كانت مبنية على الرمل، كل ذلك لأنها صدرت من ذاتي المتألهة التي لم تخضع لعمل النعمة وتنقاد بروح الله وتطلب المشورة الصالحة من

رجال الله الأتقياء باتضاع وانسحاق. هذا كله يظهر بصورة قوية في مجال العبادة والحياة الرهبانية. فحتى الآن وعلى مدى تاريخ الرهبنة الطويل لم نرى ولم نسمع أو نقرأ عن أحد من الرهبان المجاهدين في الميدان حسناً أنه نال نعمة أو موهبة أو تقدم روحياً نتيجة عمله البشري أو بقوة ذراعه. ليس معنى هذا أن نُنكر الجهادات المختلفة بأنواعها الكثيرة في الطريق الرهباني بل هذه لها عملها الهام إنما تبقى كعدمها إذا لم تؤازرها النعمة كعمل النار في الحطب وكلزوم الورق لحفظ ثمر الشجر. فما أجمل وما أحلى وما أبهج أن ينتظر الراهب عمل النعمة في نفسه مهما طال غيابها أو جفافها، وأظن بالنسبة للراهب العابد حقاً الميت عن العالم وشهواته يعتبر عمله هذا من ثبات وصبر ومثابرة في الجهاد واحتمال كل ما يأتي عليه أو يصادفه من ظروف في حياته كل هذا يدخل في صميم **حياة التسليم** بالنسبة للراهب لأنه سلم حياته ذبيحة حب حية للمسيح إلهه تاركاً بين يديه عمل نعمته في هذه النفس التي خلقها، وبذلك يكون فعلاً منقاداً بروح الله، وبالتالي يُؤهل فعلاً لأن يُدعى ابناً لله فما أعظم هذه البنوة وهذا الشرف العظيم للراهب الحقير المسكين أن يصير من خاصة المسيح مؤهلاً لميراث الملكوت لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أولاد الله.

❖ سأل راهب قائلاً:

كيف حصل آباؤنا على نقاوة القلب؟

أجابه أبونا متاؤس قائلاً:

علمنا آباؤنا الرهبان سكان الجبال إذ أنهم حصلوا على نقاوة القلب في الجبال والبراري وحياة السكون والهدوء في الأديرة حيث اختبروا فعلاً قوة الآية القائلة: "**طُوبى للأنقياء القلب لأنهم**

يُعاينُون اللَّه". هنـاك في الجبـل تنقشـع غمامـات الهمـوم والأحـزان والارتباكـات والقلق والشهوات المختلفة هذه التي تُعطي الصدأ للقلب وهو في العالم.

❖ جاء راهب إلى أبينا متاؤس السرياني يشكو له قائلاً:

مـاذا أفعـل يـا أبـي، فكـثيراً مـا يُحـاربني العـدو بالشكـوك في الطريق الرهبـاني، إذ لم أجـد أي عـزاء وفرح ورؤية للرب بعد جهاد سنين عديدة؟

فتحنن عليه الشيخ وقال:

الذين يعبدون الله فبالروح والحق يسجدون له وأما من يشك فلن يصل إلى مراده ولم يتكمل في محبته. كثيرون أتوا إلى الحياة الرهبانية ولما طالت بهم المدة ولم يروا يسوع وانتظروا الرؤيا وغابت عنهم تراجعوا إلى الوراء حيث أن سحابة التجارب والضيقات والحروب المختلفة التي لا بد أن تكون في طريق سعيهم إلى يسوع هذه السحابة جعلتهم يشكون في صحة الرؤيا ولم يدروا أنه "بصبركم تقتنون أنفسكم".

أما أولئك الذين سجدوا ليسوع فهذا هو سجود الخضوع لمشيئته وتنفيذ وصيته واحتمال كل ما يأتي عليهم في الطريق، فسواء ظهرت لهم الرؤية واضحة ثم انطمست هذا لا يعنيهم، إنما اهتمامهم شيء واحد هو تنفيذ أمر الرب "... أن يذهبوا إلى الجليل وهناك يرونني".

هذا هو الإيمان، إيماننا بالرب يسوع أنه أمين وعادل في تنفيذ مواعيده ومن نظر إليه استنار ووجه لم يخزى. فالثبات في الدعوة، دعوة الرب الواضحة للإنسان، هو في حد ذاته رؤية قوية بالإيمان المستتر لوجه يسوع. فمهما كان

الذهاب إلى الجبل صعب ومتعب ومشقة الطريق وخطورته كل هذه لا بد وأن تأتي بالراهب العابد الفرح بدعوة الرب إلى نقاوة القلب وبالتالي إلى رؤية الرب.

أما من يشك فهذا يخسر كل شيء ويرجع إلى الوراء حيث يتلقفه الأعداء المتربصون لاصطياد أولاد الله هناك يغرق في لجة العالم ولا يدري إلى أين يذهب لأن الظلمة جعلت غشاوة على عينيه والخوف من الطريق إليهم هزمه.

لذلك في أكثر من موضع يقول الرب لأولاده: "لا تخافوا".

حقاً "ولما رأوه سجدوا ولكن بعضهم شكوا" جعلنا الله من العابدين الساجدين له بالروح والحق في اتضاع وإنكار للذات وبغضة لشهوات العالم ومناصبه وكراماته وقالت نفسي: نصيبي هو الرب من أجل ذلك أنا أرجوه.

❖ سأل أخ قائلاً:

إلى أي شيء تعول إليه الإيمان بالمسيح، وكذا نجاح خدمة الكرازة والتبشير؟

أجابه أبونا متاؤس قائلاً:

ليس الإيمان بالمسيح هو بالحجة والمنطق البشري، بل بقوة الروح القدس وعمله في الإنسان غير المؤمن. لذلك وضحت صعوبة الكرازة والتبشير بِاسم المسيح بين الوثنيين وغير المسيحيين. فالخدمة العاملة الناجحة هى ليست في كثرة الكلام والمواعظ، بمقدار ما هى من عمل الروح القدس في الخادم والمخدوم، لأنه لا بد أن يسبق الروح ويهيئ الآنية لقبول كلمة الله.

❖ سأل راهب أبانا متاؤس السرياني قائلاً:

كيف يقتني الراهب الاتضاع؟

أجابه الشيخ قائلاً:

الاتضاع يُكتسب عن طريق خدمة الآخرين ويظهر في المعاملات والاحتكاكات مع إخوتكم في المجمع.

❖ زار أحد الرهبان أبانا القمص متاؤس السرياني وقال له:

ماذا أفعل يا أبي فإنني كثيراً ما ينتابني التهاون في جهادي الرهباني؟

فرد عليه الشيخ قائلاً:

"يا بوي لما انتو عايزين تكونوا كاملين أُمال ربنا ها يكمل إيه؟!"

❖ سأل راهب أبانا متاؤس السرياني قائلاً:

ما الذي نستفيده من الالتزام والتدقيق الشديد؟

أجابه الشيخ قائلاً:

الالتزام والتدقيق في حياة الراهب الشخصية والعملية يؤدي إلى الالتزام في الحياة الروحية والرهبانية.

❖ بكى أحد الرهبان عندما رأى أبانا متاؤس متألماً كثيراً بسبب الكسر الذي في قدمه فسأله قائلاً:

لماذا سمح الله بهذا؟ أما يكفي أن الرجل مشلولة؟!

فقال له:

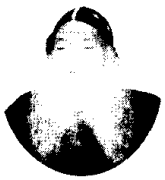

أنت بتبكي ليه دلوقتي؟ أنا صاحب الشأن ومش متضايق وشاكر ربنا على كل شيء، ها تخليني أقول لك زي ما قال أيوب لزوجته تتكلمين كلاماً كإحدى الجاهلات الخير نقبل من عند الله والشر لا نقبل؟ أشكر الله على كل حال.

❖ بعد أن تمت العملية الجراحية في العينين وحدث ما حدث ... وكانت إرادة اللَّه أن يكف بصر أبينا متاؤس! فسأله أحد الرهبان:

لماذا أراك يا أبي غير متضايق بعد هذه التجربة؟

فرد عليه أبونا متاؤس بهدوء شديد وصوت واثق قائلاً:

انتوا متضايقين ليه؟! أنا عندي انفصال شبكي من عشر سنين وكان المفروض إني أفقد بصري من زمان، لكن ربنا اداني عشر سنين زيادة أشوف فيهم، وأشكر ربنا على كده. وبعدين ربنا أخد مني البصر لكنه أعطاني البصيرة.

❖ أُصيب أبانا القمص متاؤس بأمراض مختلفة ومتنوعة وقاسية، ولكنه احتمل صليب المرض بكل شكر وفرح وصبر، بل وباحتمال عجيب يفوق طاقة البشر، فسأله أحد أولاده قائلاً:

لماذا لا تطلب من اللّه أن يشفيك؟

فكان يرد قائلاً:

"أطلب منه إزاي وهو اللي سمح بالمرض!"

❖ وفي إحدى المرات قال له آخَر:

لماذا لا تطلب الشفاء من الرب يسوع المسيح؟

فأجاب قائلاً:

"هو شايف وعارف من غير ما أطلب منه".

❖ فاستطرد في سؤاله قائلاً:

لماذا لا تطلب الشفاء وبولس الرسول العظيم طلب الشفاء من الشوكة التي كانت في جسده مرة واثنين وثلاثة؟

فرد عليه متعجباً قائلاً:

"طيب يا سيدي ... وبعد ما بولس الرسول طلب مرة واتنين وتلاتة ربنا قال له إيه؟ قال له: تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تكمل. هو ربنا اللي سمح بالمرض أقول له ارفعه إزاي؟!"

صلاة...

نفسي بين يديك كل حين، افعل بي ما تريد،

لتكن مشيئتك.

أترسلني للذبح؟ أم للسجن؟ أم للحريق؟ أم للعذاب؟

أنا طوع بنانك يا ربي،

يا من اشتريتني بدمك الزكي الثمين.

فقط أرجو أن تُعين ضعف إيماني؛

لأستطيع أن أقول: مستعد قلبي يا اللَّه، مستعد قلبي،

لأني بدونك لا أقدر أن أفعل شيئاً.

القمص متاؤس السرياني

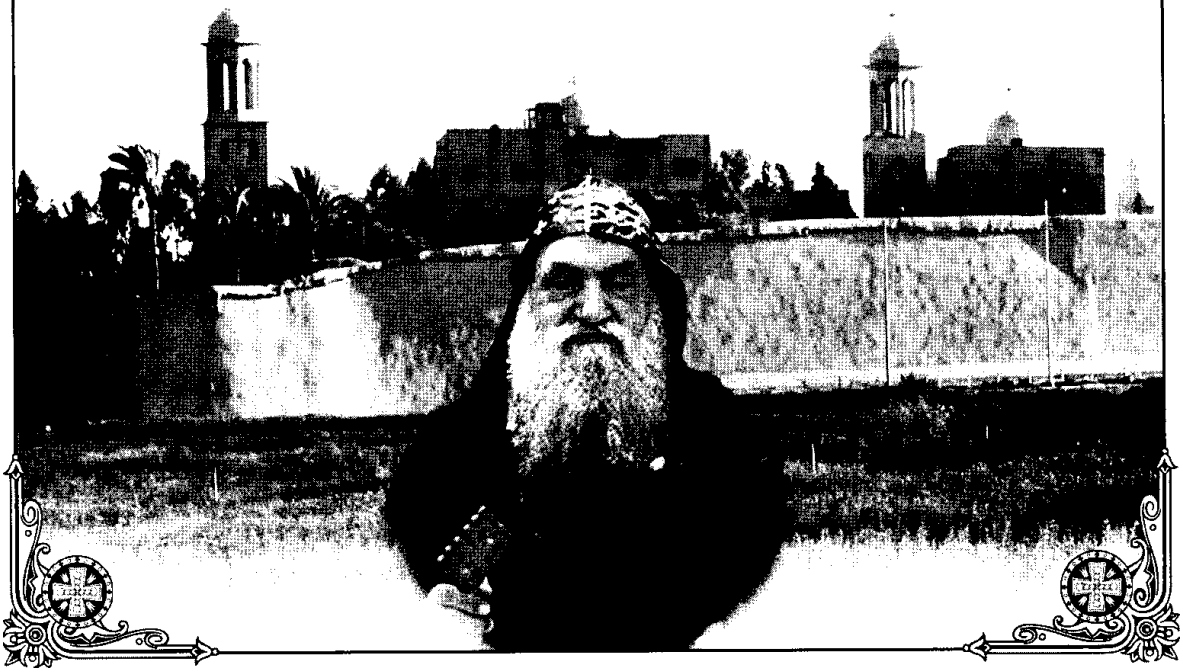

الفصل الثالث

الفكر الرهباني الآبائي

في حياة وكتابات
الراهب القمص متاؤس السرياني

- تذكار الموت
- الأبوة
- الغربة
- السكون والهدوء
- الثبات
- الشبع والعزاء الحقيقي
- الاتضاع
- الجدية والاجتهاد
- التدرج في الحياة الروحية
- الصبر والمثابرة
- أفكار رهبانية أخرى
- تعاليم للمبتدئين

الفصل الثالث

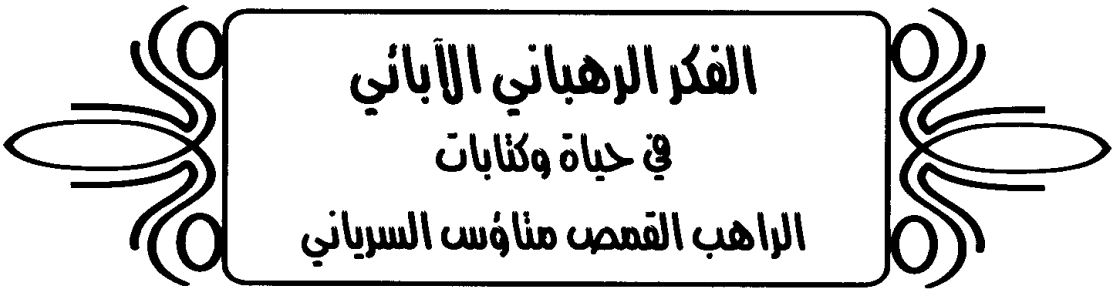

تمهيد:

نشأت الحياة الرهبانية في نهاية القرن الثالث الميلادي، وأخذت الشكل التوحدي الذي بلغ إلى حد الموت الكُلي عن العالم. وأسس هذا النظام القديس العظيم الأنبا أنطونيوس أب الرهبان، وسار على نهجه القديس الأنبا مكاريوس الكبير وأولاده الرهبان.

في غضون هذا العصر كانت حياة الراهب تميل إلى الحياة التعبدية الصرفة في الجبال والبراري، بعيداً عن الخلطة بأهل العالم بأي صورة من الصور حتى ولو عن طريق خدمتهم في الكنائس أو التعامل معهم في الشراء أو البيع. لكننا مع هذا لا ننكر أنه في وقت من الأوقات استدعت الظروف إبان البدعة الأريوسية إلى نزول الأنبا أنطونيوس من مغارته في الجبل إلى العالم، لكي ما يسمع منه الشعب، كلمة فاصلة عن الإيمان الصحيح. وما لبث أن رجع بعدها إلى وحدته للصلاة والعبادة. وقد حذا حذوه أيضاً الأنبا شنوده رئيس المتوحدين، إذ أنه أخذ يعظ الشعب ويثبتهم على الإيمان الصحيح بعد مجمع أفسس. أضف إلى ذلك أنه عال الشعب وقت المجاعة التي حدثت في أيامه.

لا شك أنه بخلاف هذه الاستثناءات، كان الفكر التعبدي الصرف هو أساس الحياة الرهبانية في ذاك الوقت. ولكن بمرور الوقت نظرت الكنيسة إلى طغمة الرهبان نظرة عالية جداً من جهة القداسة والروحانية. فأسندت إليهم بعض

الدرجات الكهنوتية، التي أصبحت فيما بعد لا تعطى لأحد غيرهم مثل درجة الأسقفية واختيار الأب البطريرك من بينهم. ورويداً رويداً أخذت الكنيسة تستعين ببعض الرهبان في خدمات معينة، إلى أن دخلت الرهبنة الخادمة وأصبحت في نطاق الحياة الرهبانية التعبدية التي ما زال بعض الرهبان وإن كانوا قلة، اختاروا أن يعيشوا الرهبنة التعبدية الصرفة في الجبال والبراري، على النمط الذي عاش به الآباء الأُول.

وظهر في جيلنا الحالي من هؤلاء القلائل الراهب القمص متاؤس السرياني، الذي عاش ما يقرب من ستين عاماً راهباً في دير السريان العامر، كان فيها نموذجاً حياً للراهب القبطي الأصيل، ذو الفكر الرهباني الآبائي، الذي تغذى على المنابع الأولى للحياة الرهبانية التي للقديسين أنبا أنطونيوس وأنبا مكاريوس. ولم نصفه بهذا مجاملة منا له، أو مغالاة في مدحه، إنما كانت كتاباته ومذكراته التي اهتم أولاده الرهبان بتجميعها، تشهد له على نقاوة فكره الرهباني الأصيل، أضف إلى ذلك حياته التي تجسدت فيها الروح الآبائية الأولى، فجعلته صورة حية حقيقية لهذا الفكر. فرأينا فيه الراهب الحريص الذي يحب الجلوس في قلايته، والذي لا يرغب النزول إلى العالم سوى للعلاج فقط، والذي لا يسعى لإيجاد صلة بالعلمانيين، والذي سار في دعوته الرهبانية بأمانة وصدق دون خلط بين العبادة والخدمة .... أمور كثيرة مثل هذه جعلت منه نموذجاً حياً للراهب الحقيقي، رأيناها في شخصه المبارك أثناء معايشته لنا، ووجدناها في كتاباته وتأملاته المملوءة قوة وعمق، مما جعلتني أقف أمامها ساعات طويلة، كي أسبح في أغوارها الروحانية، وأكتشف ما فيها من كنوز مخبأة لكي أقدمها لك قارئي العزيز كي ما ترى الأصالة في الفكر الرهباني الآبائي الذي عاشه وكتبه أبونا القمص متاؤس السرياني.

تذكار الموت

الموت عن العالم هو فلسفة الحياة الرهبانية، ولعل هذه الفكرة هى التي طرأت على فكر الأنبا أنطونيوس أب الرهبان عقب موت أبيه. فيروي لنا بستان الرهبان هذه القصة قائلاً: "أنه لما توفى والده ودخل إليه وتأمل وبعد تفكير عميق قال: تبارك اسم الله. أليست هذه الجثة كاملة، ولم يتغير منها شيء البتة سوى توقف هذا النفس الضعيف، فأين هى همتك وعزيمتك وأمرك وسطوتك العظيمة وجمعك للمال. إني أرى الجميع قد بطل وتركته ... فيا لهذه الحسرة العظيمة والخسارة الجسيمة".

ثم نظر إلى والده الميت وقال: **إن كنتَ قد خرجتَ أنت بغير اختيارك، فلا أعجبن من ذلك، بل أعجب أنا من نفسي إن عملت كعملك.** ثم أنه بهذه الفكرة الواحدة الصغيرة ترك والده بغير دفن، كما ترك كل ما خلفه له من مال وأملاك وحشم، وخرج هائماً على وجهه قائلاً: ها أنا أخرج من الدنيا طائعاً كي لا يُخرجوني مثل أبي كارهاً [1].

إن فكرة الموت الإرادي عن العالم هى الفكرة التي بُنيت عليها الحياة الرهبانية كما رأينا في حياة الأنبا أنطونيوس بعد رؤيته جثة أبيه وهذا ما حدث من قبل مع الأنبا بولا السائح فبعد وفاة والده اختلف مع أخيه الأكبر في طريقة تقسيم الميراث فذهبا كلاهما إلى الحاكم ليحكم بينهما بالعدل، وفي الطريق رأيا جنازة أحد الأغنياء بالمدينة في طريقها إلى المقابر، فسأل بولا أحد المشيعين عن هذا الرجل الميت. فأخبره الرجل أنه أُرخن عظيم، ذو أموال كثيرة ومات اليوم

---

[1] بستان الرهبان ص٥

وها الناس يحملونه إلى القبر على الأعناق دون أن يأخذ من أمواله شيئاً سوى الكفن الذي كفنوه به.

فلما سمع بولا الشاب هذا الكلام أفاق لنفسه وانكشف له بطلان العالم فرجع ولم يذهب إلى الحاكم وأثناء رجوعه مع أخيه غافله واختفى عنه، وطلب إلى الرب أن يُهديه إلى مكان يعبده فيه إلى النفس الأخير فهداه الرب بواسطة الملاك إلى مغارة في داخل الصحراء الشرقية بجانبها عين ماء، فعاش هناك ما يقرب من ٩٠ سنة، كان يعوله الله أثناءها بواسطة غراب يحمل إليه مساء كل يوم نصف خبزة [1].

إن هذه الفكرة كانت سبب خروج كثيرين من العالم إلى البرية، وهذا ما حدث في أيامنا بعد حرب ١٩٧٣م. إذ بعد رجوع عدد كبير ممن اشتركوا في الحرب أحياء بعد أن كانوا في عداد الموتى، خرجوا من العالم ذاهبين إلى الأديرة ليعيشوا أمواتاً عن العالم بإرادتهم.

ترتسم أمام الراهب فكرة الموت ويبدأ يعيشها حينما يُرسم راهباً ويصلى عليه كل صلوات الأموات.

إن رؤية الراهب للموت تكون بعيدة وضعيفة وقت دخوله الدير في بداية حياته الرهبانية، ولكن سرعان ما تتضح رؤيته له، ويشعر أنه على بعد خطوات معدودة منه، كلما مرت عليه السنين في الدير. وهو يشبه من ينظر هدفاً على بعد عدة كيلو مترات، وكلما مشى نحوه كلما ترآى له الهدف أوضح وشعر أنه يقترب منه وأوشك على بلوغه.

إن اشتياق الراهب للحياة الأبدية دفعه إلى الدخول في الحياة الرهبانية. لأنه يؤمن أنه لن يدخل الحياة الأبدية إلا بعد الموت. ونظراً لاشتياقه المتأجج أراد أن

---

[1] عن كتاب السمو الرهباني لنيافة الأنبا متاؤس ص ١٨٦.

يموت عن العالم بإرادته ويذهب إلى الدير ويصير راهباً، لعله يجد فيه ضالته التي ينتظرها، ويتمتع بها إلى حين خروج نفسه من جسده وانتقاله إلى الحياة الأبدية.

إن تذكار الراهب للموت واشتهاءه كل حين، علامة على تشوقه للحياة الأبدية. بل كلما زادت شهوته للحياة الأبدية، كلما كان تذكار الموت يتصور أمامه في كل لحظة تمر عليه.

بهذا المفهوم كان تذكار الموت يستحوذ على قلب وفكر ومشاعر وكيان أبينا الراهب القمص متاؤس السرياني منذ دخوله الدير وحتى نياحته.

فبعد رهبنته بأربعة شهور تقريباً ألقى عظة على مجمع الرهبان بدير السريان في عيد الميلاد المجيد عام ١٩٥٠م. وحث فيها نفسه على النظر إلى التراب الذي خُلق منه وإليه سيعود فقال: "وأحياناً أنظر إلى نفسي الشقية حينما يراودني فكر شرير وأقول فيما تفكر أيها التعيس البائس أقل البشريين! انظر إلى التراب، إنه أمك ومنه خُلقت وإليه ستعود". أي إنه كان يُذكّر نفسه بالموت والعودة إلى التراب.

وفي نفس العظة كشف سبب تفضيله المجيء إلى تلك الأماكن المقدسة، إذ أنه من خلال العيش فيها مع إخوته القديسين الأبرار، يموتون عن العالم، ليرتفع عقلهم وفكرهم إلى السمائيات، فقال قدسه: "فآثرنا المجيء إلى تلك الأماكن المقدسة التي عاش فيها قديسين أبرار، سموا بحياتهم الروحية إلى درجة لا يتصورها عقلي الضعيف، وذلك بموتهم الكُلي عن العالم ليرتفع عقلهم وفكرهم إلى السمائيات. **إذ لا يمكن لإنسان أن ينظر إلى الأرض بعين وينظر بالأخرى إلى السماء**".

ومن هنا نرى أنه كان يسعى للموت الكُلي عن العالم. ولكي يصل لهذا كان يلازمه فكر الموت باستمرار.

إن أبانا القمص متاؤس السرياني لم يتغافل يوماً عن تذكّير نفسه بقرب الرحيل، فكتب عام ١٩٥٦م يقول: "يا نفسي قومي واستيقظي ها قد بدت شمس المغيب والنور من حولك يُنبئ بقرب الرحيل".

وبعد عام واحد فقط أي عام ١٩٥٧م كتب أنشودة رائعة تساءل فيها عن متى سيكون الرحيل للسماء؟ وكيف؟ وأين؟ وإلى أين؟ ثم عبر بعد ذلك عن فرحه وبهجته بالموت والانتقال إلى السماء، وثقته التامة بالدخول إلى الإله المحب الحنون، ليس بأعماله سيدخل، إنما بمحبة الرب ودمه المسفوك على عود الصليب. أكتبها لك قارئي العزيز لكي ما تتأمل في كلماتها العذبة العميقة والمؤثرة للغاية.

ربي تُرى متى يكون السفر؟ وكيف؟ وأين؟ وإلى أين؟ هذه أسرار مضمونها عندك. أما عندي ففرح وبهجة لا مزيد عليها حين أحلم أنني مسافر ولكن أستيقظ وأجد أنني لم أسافر فأحزن. أما جهة سفري فهى بلا شك إليك أيها المحب الحنون. أنا أعلم أن بأعمالي ليس لي خلاص ولكن لي في محبتك ودمك الزكي ثقة كبرى لا تستطيع قوات الظلمة أن تعيق نفسي حين خروجها من الجسد لتلتقي بك ولا أن يعطلوها ويحتجوا على خطاياها الكثيرة. فإن كنت أنا ناقص وخاطئ فيسوع كمل عني كل شيء ووفى الدين (ديني) إن كنت لم أستطع أن أصوم كما يجب فيسوع صام عني. إن كنت لم أعرف كيف أُصلي فيسوع صلى عني. يسوع سهر عني، يسوع تألم عني، يسوع قُبر وقام عني.

فمن هنا تبدأ نصرتي بمن أحبني فلا بد لي أن أقوم معه. حين أخلع هذا الجسد البالي ويضطجع في التراب، أبدأ حياة جديدة. **إذن الموت ليس نهاية بل هو بداية!** فتُرى متى يكون الرحيل؟ حقق يارب أحلام الليل!.

ما أجمل الوداع على أمل اللقاء ... إذن ليس هو وداع بل رجاء! فوداعاً أيها الجسد الترابي سألاقيك في صورة نورانية أجمل وأبهى. وداعاً يا من ألفت العشرة (العيشة) بينهم سنتقابل هناك مع المحبوب في المجد ... وداعاً أيتها الأماكن التي كانت سترة لجسدي، أنا ذاهب إلى الأفضل والأبقى. وداعاً أيتها الطبيعة بكل صورها لقد كنت لي تعزية وقتية هناك الأبدي!

كتب أبونا القمص متاؤس السرياني هذه الكلمات في أواخر العقد الثالث من عمره أي وهو ما زال في ريعان شبابه. وكان أيضاً راهباً مبتدئاً له ثمان سنوات في الحياة الرهبانية، ومع ذلك لم يفارق تذكار الموت فكره لحظة واحدة، وكان يترقب هذه الساعة بشغف واشتهاء كمن ينتظر لقاء حبيب له.

وفي عيد الغطاس المجيد عام ١٩٥٨م، كتب عن شدة احتياجنا إلى الالتصاق بربنا يسوع المسيح إلى أن نستوطن عنده، فقال: "ما أشد حاجتنا إلى أن نلتصق بربنا يسوع المسيح ونكّون معه دالة الحب وعشرة لا تنقطع فيكون هو مُعزينا في أحزاننا وناصرنا في ضيقاتنا وشدائدنا التي تُصيبنا ونحن في الجسد إلى أن نستوطن عنده وفي النهاية نستطيع أن نقول: "يعظُمُ انتصارنا بالذي أحبَّنا" (رو ٨: ٣٧).

وفي عيد القيامة عام ١٩٥٨م كتب في مذكراته يخاطب ذاته، كأنه إنسان فارق أحباءه الذين عاش معهم بالجسد في هذه الحياة المليئة بالهموم والأحزان فقال: "لو علم ذلك الإنسان أنه غريب عن موطنه الحقيقي، وأنه ينتظر حياة أفضل وأسمى حين ينقض هذا المسكن البالي (الجسد) ويُستوطَن حيث البناء الأبدي، غير المصنوع بيد".

وفي ١٩٥٨/٨/٤م شعر أن أيامه تنقرض بدون ثمرة، على الرغم أنه في ذاك الوقت لم يتجاوز عمره الثلاثين عاماً. فكتب قائلاً: "للرب أُسلم المشيئة ليسيرني

في طريق آبائي الذين أحبهم لعلي أُقدم لإلهي توبة صادقة وأكون مقبولاً عنده لأن أيامي تنقرض بدون ثمرة".

وفي ١٩٥٩/٥/١٧م كتب يبكت نفسه ويلزمها على الالتصاق بالله إلى أن تصير جزءاً منه، بعد أن نظر إليها ووجدها فارغة من أشياء كثيرة. وفي الختام ينبه نفسه شاعراً بسرعة مرور الأيام والسنين ووقوفه أمام المنبر المخوف فيقول قدسه: "وإذا بالأيام والسنين تمر بي سريعاً وأنا متغافل وأظن أني سائر، وإذ بي فجأة أواجه الحقيقة المُرة حين أقف أمام المنبر المخوف وأنا عاري في خزي وخجل حيث يرى الجميع عورتي وهناك لا ينفع الندم. رحماك ربي".

ووُجد لأبينا القمص متاؤس السرياني تأمل عن الصبر كتبه في ١٩٦١/٩/١٦م، تطرق فيه عن الرهبنة، فقال: "فالرهبنة موت وموت بكل ما يحمل من معنى" وهنا كشف عن ما يجول بفكره وقلبه ومشاعره من تذكار دائم للموت.

وتَكَشف لنا اشتياقات أبينا القمص متاؤس السرياني للحياة الأبدية والميراث السماوي، عن ما يجيش به قلبه من محبة للموت كطريق يعبر منه إلى الحياة الأبدية، فكتب في ١٩٦٢/٢/١٩م يقول: "نستطيع بنعمة الرب أن نثمر ثمار الروح فرح، سلام، محبة، إيمان ... هنا في هذه الحياة كعربون للحياة الأبدية وميراث المجد الدائم مع الذين أحبوه وأرضوه بأعمالهم الصالحة".

وفي هذا الصدد أيضاً بعد أن تطرق إلى أهمية طهارة النفس ونقاوة القلب كشرط للصلاة المقبولة، فكتب في ١٩٧٠/٦/٥م يقول: "هذه هي درجة الكمال وحد كل جهاد وحصيلة هذا العمر في حياتنا في الجسد لنؤهل بنعمته أن نكون وارثين أمجاده السماوية".

ويسمو أبونا القمص متاؤس بفكره عن تذكار الموت من الذكرى إلى الموت الفعلي فكتب في ١٩٧٠/٦/١٩م يقول: "**الرهبنة ليست تعاليم ومواعظ تُلقَى من على المنابر ولكنها حياة تنبعث من المقابر (أي من قبر القلاية)**". أي أن الرهبنة الحقيقية ليست خارج قبر القلاية، إنما تكون داخل قبر القلاية، حيث يموت الراهب بداخلها (الإنسان العتيق)، لكي ما تدب فيه روح المسيح.

ويكتب أبونا القمص متاؤس السرياني في ١٩٧٢/٢/٤م عن أهمية الثبات في الدير والمثابرة في العبادة وتكميل الوصايا بروح التوبة التي هى حياة الموت. فيقول قدسه: "وعندما نتأمل في حياة الموت نرى أن الميت لا شهوة له لا في وظائف عالمية، أي خدمات خارج الدير، أو مراكز دينية أو خلافه.

ثم أن الذي يشعر أنه ميت عن رغبات الإنسان العتيق بكل ما فيها، يعتبر نفسه أنه آخِر الكل وأقل الجميع ..." يقودنا هذا التأمل، أن نستشف منه أن أبانا القمص متاؤس كان يحيا حياة الموت التي أشار إليها، لأننا رأيناه طوال حياته الرهبانية لم يسعى أو يطلب أي وظيفة أو خدمة أو مركز خارج الدير. وكان شعوره الدائم أنه آخِر الكل وأقل الجميع.

وفي نهاية المقال السابق الذي أشرنا إليه، يؤكد فيه أن الراهب الذي يستعد للموت الحقيقي، لا تستطيع أية قوة أن تزعزعه أو تخرجه من حياته التي يلتقي فيها مع السيد المسيح داخل الدير، إذ أنه ينتظر انطلاقه من الجسد لينعم بميراث الفردوس، فكتب قدسه: "مثل هذا الراهب الذي يستعد للموت الحقيقي أظن أنه لا تستطيع قوة أن تنزعه من حياته التي التقى فيها بيسوع رجاءه وتعامل معه سنيناً عديدة فهو منتظر في هذا المكان (الدير) انطلاقه من الجسد لينعم بمن أحبته نفسه ومن هنا يأخذ العربون".

وفي تأمل آخَر لأبينا القمص متاؤس السرياني عن الدخول من الباب الضيق كتبه في ١٩٧٢/٨/١٩م يُذكّر نفسه أنه راهب مائت عن العالم فيقول قدسه: "فكم وكم بالنسبة للراهب العابد التائب المحب للّه الميت عن العالم وشهواته ومناصبه".

وفي تأمل آخَر كتبه في ١٩٧٣/٣/٣م يُذكّر نفسه أنه راهب يعيش في البرية مائتاً عن العالم فيقول: "هناك في البراري في السكون والهدوء في الموت عن العالم في الإتحاد باللّه عملت النعمة في المئات والآلاف من الرهبان المنكسرين والمنسحقي القلب كان لهم غذاء الروح حيث تفرغ الداخل من كل ما هو باطل فأُهل للملء بكل ما هو طاهر (الرب)".

في ختام هذا الجزء نعرض حواراً بسيطاً بينه وبين أحد أبنائه، ظهر من خلاله مدى تغلغل وامتلاك شهوة الموت داخل قلب أبينا القمص متاؤس. فحينما سأله ابنه: "ألا تخاف يا أبي ساعة الموت؟" فكانت إجابته تحمل نبرة كلها شوق ولهفة وحنين قائلاً: "دا أنا مستني اللحظة دي طول عمري!!".

الأبوة

الأبوة الروحية بين الأب وأبنائه الروحيين يكون رباطها الروح، أما الأبوة الجسدية بين الأب وأبنائه الجسديين فرباطها الدم. لهذا كانت الأبوة الروحية أقوى بكثير من الأبوة الجسدية، بل وتسمو عليها كما تسمو الروح على الجسد.

من هنا نفهم قوة الأبوة الروحية لله لأبنائه البشر، التي جعلته ينزل من علو مجده إلى الأرض آخذاً جسداً في شبه البشر، حتى ينقذهم من حكم الموت والهلاك الأبدي الواقع عليهم، بموته عنهم على عود الصليب. وهذا ما عَبَّر عنه الكتاب بقوله: "ليس لأحدٍ حُبٌّ أعظمُ من هذا: أن يضع أحدٌ نفسه لأجل أحبَّائه" (يو ١٥: ١٣)، بل هو قال: "أنا هُوَ الرَّاعي الصَّالح، والرَّاعي الصَّالح يبذل نفسه عن الخراف" (يو ١٠: ١١)، وشعر يوحنا الحبيب بهذا الحب الأبوي فقال: "انظُرُوا أية محبَّة أعطانا الآبُ حتَّى نُدعى أولاد اللَّه" (١يو ٣: ١).

إن أبوة الله للبشر، هي الصورة الحقيقية للأبوة الروحية في الكنيسة، أو بمعنى آخَر نستطيع أن نقول: أن الأبوة الروحية في الكنيسة، هي صورة مُصغرة لأبوة الله. لهذا فالأبوة الروحية نعمة وموهبة يمنحها الله لبعض أولاده.

وقد ميَّز الله أبانا الحبيب القمص متاؤس السرياني بنعمة الأبوة وموهبة التدبير والإرشاد الروحي. فكان لأولاده الرهبان أباً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ، يفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم ويتألم لآلامهم، ويخفف عنهم همومهم بحملها عنهم. كما أعطاه الله أيضاً قدراً كبيراً من الحكمة والإفراز في التدبير والإرشاد الروحي. فكان كأب اعتراف ومدبر روحي، تراه حازماً وشديداً جداً وغير متهاون مع المُخطئ لكي ما يقومه ويضعه على الطريق الروحي السليم، ولكنك تجد مع هذه الشدة والحزم، حنواً وعطفاً أكثر، يُثير عجب واستغراب

من يعرف حزمه وشدته. وحينما كان أحد أبنائه يمر بضيقة ما أو تجربة، كان يُظهر له عطف وحنان نابع من أبوته الحقيقية، حتى تعبر هذه الضيقة وتنتهي بسلام. فهناك مواقف كثيرة ومتعددة، يصعب حصرها، حدثت أثناء تعاملاته مع أولاده الرهبان، ظهرت فيها أبوته معهم.

ويمكننا إدراك أبوة أبينا القمص متاؤس السرياني بصورة أكثر وضوحاً من خلال كتاباته وتأملاته التي خطها بيده.

وقد كشف لنا أحد تأملات أبينا القمص متاؤس عن الكنيسة، اتساع أحضانه الأبوية لقبول أبنائه، على اختلاف أجناسهم وطباعهم، مهما كثر عددهم، وأيضاً احتمال ضعفاتهم وخطاياهم، وقبول كل تائب أقبل إليه مهما كان شريراً. فقال قدسه: "الكنيسة التي تضم إلى أحضانها جميع أبنائها على اختلاف أجناسهم وطباعهم، ومهما كثروا وازداد عددهم فهي تحتمل ضعفاتهم وأخطائهم. ترحب بالكل داعية للجميع أن يخلصوا وإلى معرفة الحق يقبلوا حيث تقبلهم في شبكتها التي تحتملهم وتسعهم ولم تتخرق فلم تطرد يوماً ما خاطئاً أقبل إلى التوبة بقلب منكسر، ولم تُبعد عنها شريراً عنيداً التجأ إلى حماها من بحر هذا العالم، ومع ذلك لم تتخرق أو تضعف".

وفي تأمل آخَر لأبينا القمص متاؤس يلفت انتباهنا أننا أولاد الله، ثم يُوجه أنظارنا إلى أبوته الحانية المحبة التي لا تحتمل أية أذية لأبنائه، من خلال مشاعر الأب الجسدي لأولاده، فيقول: "أي شرف هذا لنا نحن المسيحيين أن نُدعى أولاد اللَّه. أولاد اللَّه كلمة عابرة غالباً ما تمر بذهني كشيء بسيط. ولكن إذ يُسلط عليها ضوء النعمة القوي تنكشف أمامي بعض من قوتها التي لا تُحَد". ثم يستكمل قائلاً: "يستطيع أن يُدرك اليسير من هذا الشعور الأب الذي له

أولاد، كم هي قوية محبته لأولاده. وإذا حدث لأحد من أولاده أذية ما، يكون كفاقد لشعوره، من فرط معزة الابن لديه".

وفي معرض آخَر من تأملات أبينا القمص متاؤس السرياني، يظهر لنا مدى درايته المتسعة بضعفات النفس البشرية وآلامها، كشيء هام جداً وضروري لأي أب روحي. فيقول قدسه: "هناك جهاد شاق في الخفاء للنفس مع الأرواح الشريرة وأرى أنه لا بد أن يكون في النفس ألم بسبب خطية سابقة. وإذ أن النفس لم تتعرى كلية من الإنسان العتيق لذلك وهي تُجاهد أن تتخلص من هذه الآلام فلا بد أن تواجه حرب الأعداء الذين سبق أن تصالحت معهم وارتضت بقبول خطية ما". وفي موضع آخَر يكتب قائلاً: "ولنوال الخلاص إنه تعالى ينظر إلى اشتياق القلب ومشاعر الحب لشخصه المحبوب التي تنسكب أمامه في أنين مكبوت أصممته الشهوة البهيمية التي خضعت لها الإرادة البشرية الضعيفة ولم تجد مفراً للانعتاق من الخطية". ومرة أخرى يُظهر فساد الطبيعة البشرية وقوة العدو فيقول: "فحياتنا هنا في الجسد وفي هذا العالم الشرير كل يوم معرضين لأخطاء لأن عدونا قاسي وطبيعتنا فاسدة. لذلك يلزمنا دائماً وفي نهاية كل يوم قبل أن نرقد على فراشنا أن نُقدم توبة عما حدث عنا في نهاية هذا اليوم".

ويَعلن لنا أبونا الحبيب القمص متاؤس السرياني حنو أحشائه على الخطاة، من خلال حنو أحشاء الله على الخطاة والسعي لأجل خلاصهم فيقول: "يا للعجب عن يسوعنا الحبيب وراعينا العظيم الذي ترك التسعة والتسعين خروفاً وذهب يبحث عن الخروف الضال والذي كان يأكل مع الخطاة والعشارين، والذي قال: ما جئت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة. ولا يوجد بيننا وبينه حاجز، **تحن أحشاؤه دائماً نحو الخطاة**".

وفي كلمات بديعة ورقيقة، يُظهر فيها أبونا القمص متاؤس أبوته وحنانه عند التأديب فيقول: "لأن عصا الأب الحنون على الابن للتأديب إنما هي رقيقة للحياة وليست للموت".

أخيراً يكشف لنا أبونا الحبيب القمص متاؤس السرياني عن سر أبوته الناجحة، التي تعلمها من الرب، فيقول: "علمنا (الرب) في إنجيله المقدس مقدار عظم صلاحه وطول أناته على الخطاة وكيف أنه قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة مدخنة لا يُطفئ".

ثم يقول بعدها: "وهكذا يُعلمنا كيف أن لطفه وعظم صلاحه وطول أناته على الخطاة إنما ليقتادهم إلى التوبة".

ونختم هذه النقطة بالصورة البديعة التي رسمها أبونا الحبيب القمص متاؤس لطول أناة الله ومعرفته بضعف بشريتنا، ومحبته التي لا تحتمل الانتظار فتركض نحونا لتأخذنا في أحضانه الأبوية. وهو هنا يعكس ما بداخله من أبوة نحو أولاده فيقول قدسه: "فالمجد والشكر لإلهنا الطويل الروح الذي يعرف ضعف طبيعتنا وأننا نميل إلى الشر والخطية فوضع لنا طريق التوبة لنصل به إليه.

ولكن حذاري أن نُطيل البقاء بعيداً عنه لأنه قال: إن سقطت قم، وهو واقف على الباب يقرع وحين يرانا آتين إليه من بعيد لم تحتمل محبته الانتظار بل يأتي إلينا راكضاً ليحتضنا ويقبلنا ويأمر خدامه أن يلبسونا حلة جديدة لأننا كنا موتى فعشنا وكنا ضالين فوجدنا وهكذا يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب".

الغربة

لقد خلق الله الإنسان ووضعه في جنة عدن، حتى يُسبح الله ويتمتع بالوجود معه. وكان القصد الإلهي من خلقة الإنسان، هو أن يبقى في الفردوس موطنه الأصلي، ولكن بعد أن أخطأ بغواية الحية (تك ٣)، طُرد من الجنة إلى أرض الشقاء، كعقوبة على مخالفته وصية الله. وصار على كل إنسان أن يقضي فترة العقوبة، التي سمح بها الله وحددها له، منفياً على الأرض، إلى أن يرجع مرة أخرى إلى موطنه الأصلي في السماء.

لازم فكر الغربة هذا، مشاعر آباءنا الرهبان كل أيام حياتهم داخل الدير، وعاشوا فيه مشتاقين الرجوع إلى وطنهم السماوي، وإذ كانت قلوبهم كل حين تنبض بالحنين للرجوع إليه، مقرين مع بولس الرسول بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض، لأنهم "يبتغُون وطناً أفضل، أي سمَاوياً" (عب ١١: ١٦).

كما سنرى في حياة وكتابات أبينا القمص متاؤس السرياني أن فكر الغربة، شعور استحوذ على قلبه ومشاعره منذ أن صار راهباً، وحتى نياحته، إذ كان كل حين يترجى الرجوع إلى وطنه الأصلي، قائلاً مع القديس بولس الرسول: "نثقُ ونُسرُّ بالأولى أن نتغرَّب عن الجسد ونستوطن عند الرَّبِّ" (٢كو ٥: ٨).

ففي العظة التي ألقاها أبونا متاؤس السرياني على رهبان الدير في عيد الميلاد عام ١٩٥٠م، أي بعد رهبنته بأربعة شهور تقريباً، يستطرد في كلامه عن الرهبنة وشقاء جهادها في غربتها عن موطنها السماوي فيقول قدسه: "الرهبنة ما أحلاها في مرارتها وما أجملها في منظرها. وما أشهاها في طعمها. فأمجادها في السماء عظيمة، وإن كانت ضيقاتها في الأرض كثيرة وأكاليلها بهية وإن كان جهادها

في غربتها عن موطنها السماوي شاق، فبنظرنا إلى السمائيات تهون علينا آلام الأرضيات". وفي موضع آخَر يخاطب نفسه كإنسان ويُذكِّر نفسه بأنه غريب عن موطنه السماوي فيقول: "ليعلم ذلك الإنسان أنه غريب عن موطنه الحقيقي". وفي أحد تأملاته يتطرق إلى حياة الغربة، فيقول: "فحياة الغربة في هذه الأرض هى حياة جهاد مستمر بنشاط دائم".

ومن فرط تملك شعور الغربة على أبينا القمص متاؤس، نُلاحظ أنه دائماً في كلامه أو كتاباته لم يكتفي بأن يقول: "حياتنا على الأرض" أو "طوال أيامنا"، إنما دائماً يلازم كلمة "غربة" مع الحياة على الأرض. ففي تأمل له عن الأمانة يكتب قائلاً: "أخيراً طوال أيام غربتنا عن موطننا السماوي يلزمنا جداً أن نكون أُمناء إلى النفس الأخير".

وفي موضع آخَر يقول: "ومجموع حياتنا في أيام غربتنا هو عبارة عن سقوط وقيام". فلم يكتفِ أبونا القمص متاؤس بكلمة حياتنا، ويكمل "هو عبارة ..."، إنما شعوره بأنه غريب على الأرض قال: "حياتنا في أيام غربتنا".

ومثل ما أشرنا إليه سابقاً حينما ذكر أبونا الحبيب أن المحبة أعلى وأسمى الدرجات، وكل من حصل عليها بلغ إلى قمة الفضائل وتكون مطهرة للنفس من الإنسان العتيق وتهبه الحياة الأبدية، فيقول قدسه: "فتكون أيام غربتي، أفكاري، آمالي، وأشواقي وعواطفي في الملكوت السماوية حيث يجلس المحبوب ...". فلم يقل أبونا القمص متاؤس السرياني فتكون أيام حياتي، بل استخدم كلمة "غربة" بدلاً من "الحياة على الأرض".

وبتعبير صريح يُعلن أننا كمسيحيين، نعيش غرباء لأننا لسنا من هذا العالم فيقول: "لأنه واضح أننا نحن المسيحيين لسنا من هذا العالم. فلو كنا من هذا

العالم وخاضعين لرئيس هذا العالم لكانت تعزيتنا بأموره الفانية وبمجاذبات الخطية التي يثيرها رئيسه علينا".

وفي أحد الخطابات المرسلة منه لأحد أبنائه الذين في الخدمة يحثه على الشعور بالغربة، فكتب له قائلاً: "فقد دعانا اللّه أيها الأب الكريم إلى حياة التجرد حيث نعيش هنا على الأرض كغرباء. إذاً ليس نحن الآن في موطننا الحقيقي ولكننا نطلب ونسعى إلى ما هو باق ودائم إلى الأبد".

وفي خطاب آخَر مُرسل إلى أحد أبنائه الرهبان في المهجر، يقول فيه: "أرجو ألا تنسى ضعفي في صلواتك ليُكمل الرب أيام الغربة على الأرض في رضاه وحسب مشيئته الصالحة له المجد على الدوام".

ويختم أبونا القمص متاؤس السرياني خطاب أرسله لأحد أبنائه، يكشف عن شخصية أبينا الحبيب المتضعة، الشاعرة بغربتها على الأرض، المسلمة حياتها لمشيئة اللّه الصالحة، الطالبة معونته لكي ما تحصل على خلاصها، فيقول قدسه: "لا تنسى أن تذكر حقارتي في الصلاة ليُكمل الرب أيام غربتنا في الجسد كمشيئته الصالحة، **ويُعيننا** جميعاً على **خلاص أنفسنا**، هذا الذي هو غاية أملنا في هذه الحياة ".

السكون والهدوء

إن سكنى البرية حيث الهدوء والسكون، جذبت إليها كثير من الرهبان، إذ وجدوا فيها ضالتهم المنشودة، فكم يكون عظيماً تأثيرها الواضح على حياة الراهب الذي يسعى في طلب الله بصدق. لذا رأى كثير من الآباء أن حياة السكون والهدوء، هى أحد الدعائم الرئيسية في حياة الراهب، وأكد ذلك مار إسحاق في قوله: "السكون هو عمل الراهب، إن فقد السكون اختلت حياته كراهب". ولم يقل ذلك مار إسحاق إلا بعد أن عاش سنيناً كثيرة متوحداً في الهدوء والسكون، كما هو واضح من كتابات مار إسحاق عن السكون في ميامره.

ولشدة حب وإيمان أبينا الحبيب القمص متاؤس السرياني، لحياة السكون، سعى لبناء قلاية منفردة في الجبل خارج أسوار الدير الأثري عام ١٩٦٠م، وتُعد هذه هى القلاية الأولى من نوعها بغرض العبادة وطلباً لحياة السكون والهدوء.

وكثيراً ما غرس أبونا القمص متاؤس السرياني حب السكون والهدوء في حياة أولاده الرهبان وذلك من خلال جلساته الروحية معهم. وفي أوقات كثيرة كان يقول أمامهم بنبرة كلها حب وشوق لحياة الهدوء "الناس في العالم بتحسدنا على شوية الهدوء اللي إحنا فيهم" أو يقول: "تلاقي فين الهدوء ده".

إن عشق أبينا القمص متاؤس السرياني لحياة السكون والهدوء، بات واضحاً جداً في أقواله وتأملاته وكتاباته التي خطها بيده، والتي نادراً ما كانت تخلو من التعبير عن حبه وشوقه لحياة السكون والهدوء.

وكان يُعَوِّل أبونا الحبيب أموراً كثيرة في حياة الراهب، إلى حياة السكون والهدوء. فكتب يقول: "كما أن الشجرة تنمو هكذا النفس تنمو. نمو النفس في

السكون والهدوء، كما قال مار إسحاق: إن أنت سكنت في القفر أفكار القفر تُحدث لك وإن خالطت كثيرين أفكار كثيرين تُحدث لك".

وفي موضع آخَر تأمل قدسه في ذهاب السيد المسيح إلى جبل الزيتون، فكتب قائلاً: "ذهب إلى جبل الزيتون ليُعلمنا أن نستمد العون في ضيقاتنا وأحزاننا من الآب السماوي في **الخلوة والهدوء**، لتُعلم طلباتنا ونَتَسمع صوته، بل ونأخذ القوة والعون في حينه للمكافحة والجهاد في الطريق".

وإيماناً بتأثير سكنى الرهبان في الجبال والقفار على حياتهم، كتب أبونا القمص متاؤس عن خبرة معاشة لحياة السكون والهدوء قائلاً: "رئيس الحياة ذهب إلى الجبل حيث هناك حياة الروح. في القفر تتخلص النفس المنزعجة من اضطرابات الحياة. في القفر تُشفَي النفس من آلامها، ويطهر العقل، وينقي القلب، وفي القفر تنمو الروح وتسمو بإتحادها بخالقها".

وفي تأمله لبعض الآيات من الكتاب المقدس، التي أشارت إحداها إلى عمل الروح القدس في الإنسان، وأشارت الأخرى للدينونة العظيمة على المُعلمين قال قدسه: "وهذه أقوال يرن صداها في قلبي موافقاً تماماً لروح آبائي القديسين الرهبان التي بها عاشوا حياة التبتل والوحدة".

ويُعَوِّل أبونا الحبيب القمص متاؤس السرياني قبول الصلاة وفاعليتها إلى عاملين اثنين هما الاعتزال عن البشر، وعن الأمور المادية والاهتمامات العالمية. ثم أشار إلى أن هذا لا يتسنى إلا بالالتجاء إلى البراري حيث في الهدوء والسكون يستطيع القلب أن يسمو ويرتفع إلى العلو. فيقول قدسه: "ولا ننكر في هذا الأمر ما لهدوء البرية، وسكونها من كل تشويش، فعالية في القلب المرتفع كالنسر الطائر إلى العلو حيث لا معوقات ولا ارتباطات ولا أثقال هذه الحياة تمنع من سموه وارتفاعه إلى أعلى".

وفي سياق كلامه عن الصلاة المقبولة والدالة القوية أمام الله، يشترط طهارة النفس من آلام الإنسان العتيق، ونقاوة القلب من أدران الخطية. وكل هذا لا يتأتى إلا بالانعزال في البراري، فيقول أبونا الحبيب: "وما يُساعدنا في جهادنا هذا إلى أن نصل إلى هذه الأشواق هو انعزالنا في البراري لنُصلي كما فعل الرب".

وأسند أبونا القمص متاؤس السرياني نجاح وانتصار الآباء الأوائل في حياتهم الروحية وسموهم في الفضائل، إلى ثلاثة عوامل، هي: تركهم لكل شيء وتبعيتهم للمسيح بكل قلوبهم، ثم عدم ارتباكهم بأعمال هذه الحياة، وأخيراً لم يجعلوا أي هَم يعوقهم في الوصول إلى الله، وأرجع كل هذا إلى هروبهم إلى البراري والقفار. فقال: "ولأنهم علموا أن أي هَم خارج عن محبة اللَّه إنما هو عائق ومُعثر في الطريق لأجل ذلك **هربوا إلى البراري والقفار** لا عن فشل في الحياة أو جُبن من شيء إنما ليخلوا قلوبهم من اهتمامات وارتباكات الدنيا الفانية ويكون القلب مهيأً ومكرساً لحلول الرب".

ويُشير أبونا القمص متاؤس إلى أن البسطاء من الرهبان هم الذين كانوا ينجحون في صلتهم بالله بسبب بساطتهم وشعورهم بعجزهم وعدم معرفتهم. ثم يذكر قدسه في جملة اعتراضية أن الجبال والمغائر كانت تمتلئ بأمثال هؤلاء الرهبان البسطاء، وكأنه أراد أن يُرجع نجاح هؤلاء الرهبان البسطاء في صلتهم بالله إلى سكناهم الجبال والمغائر، حيث حياة السكون والهدوء. فيقول قدسه: "وهكذا في الحياة الروحية نجد الناجحين في صلتهم باللَّه، وخاصة في حياة الرهبنة، كانت **الجبال والمغائر** تمتلئ بأمثلة هؤلاء الشاعرين بضعفهم وعجزهم وعدم معرفتهم".

وفي تأمل آخَر لأبينا القمص متاؤس السرياني، يُرجع الحصول على ثمار الروح الداخلية، إلى السكنى في البراري حيث الهدوء والسكون. فيقول: "أما

ثمار الروح الداخلية التي تكلم عنها مُعلّمنا بولس الرسول: (محبة فرح سلام...) والتي من أجل الحصول عليها عاش آباؤنا القديسون طوال حياتهم **في البراري** في ضيق وتقشف ونسك صعب ليقتنوها".

ويَعلن أبونا الحبيب القمص متاؤس السرياني صراحةً أن فلسفة الحياة الرهبانية الأصيلة تكون في البراري والقفار، إذ هناك يُثابر الراهب ويبحث ويُنقب عن هدفه إلى أن يصل إلى حمل الصليب الذي يُشير إليه أبونا متاؤس بالباب الضيق، فيقول قدسه: "فلسفة الحياة الرهبانية الأصيلة في البراري والقفار فهى في مجموعها وهدفها مثابرة في البحث والتنقيب للوصول إلى الباب الضيق".

ويُعَوِّل أبونا متاؤس السرياني عمل النعمة في المئات والآلاف من الرهبان، إلى السكنى في البراري في السكون والهدوء. فيقول قدسه: "هناك **في البراري في السكون والهدوء** في الموت عن العالم في الإتحاد باللّه عملت النعمة في المئات والآلاف من الرهبان المنكسرين والمنسحقي القلب كان لهم غذاء الروح حيث تفرغ الداخل من كل ما هو باطل فأهل للملء بكل ما هو طاهر (الرب)".

ويرى أبونا القمص متاؤس أن المحور الأساسي في عمل الراهب هو أن يحظى ويفوز باللّه، ولن يكون هذا إلا إذا كان ملتصقاً باللّه ومنتظراً عمله فيه، ويتم هذا في الصحارى والقفار. فيتساءل قدسه قائلاً: "تُرى كيف كان يمكننا أن نحظى بإلهنا لو لم نكن ملتصقين به ومنتظرين عمله هذا أملنا وهذا رجاؤنا ولعله كان المحور الأساسي في عمل آباءنا رهبان الصحاري والقفار وسكان الأديرة بركتهم فلتكن معنا آمين". ويتساءل أبونا متاؤس، كيف يتنقى القلب؟ ثم يجيب بما تعلمه من آبائه الرهبان فيقول قدسه: "أما كيف يُنقى القلب فهذا علمنا إياه آباءنا الرهبان سُكان الجبال إذ أنهم حصلوا على نقاوة القلب **في الجبال والبراري وحياة السكون والهدوء في الأديرة**".

الثبات

الثبات هو أحد الدعائم الأساسية والهامة في الحياة الرهبانية فثبات الراهب داخل ديره وثباته داخل قلايته، وأيضاً ثباته في جهاده الرهباني كلها أمور تحتاج إلى فضيلة الثبات لكي ما يثمر الراهب ويصل إلى الله.

لذا نجد أن كثير من آباء الرهبنة أظهروا في كتاباتهم وأقوالهم، مدى أهمية ثبات الراهب في ديره، وعدم نزوله إلى العالم، إلا لقضاء أمر ضروري وهام، ولم يجدوا أفضل من تشبيه الراهب، الذي ينزل من ديره إلى العالم، بالسمكة التي تموت متى خرجت من الماء. كذلك أيضاً الراهب متى خرج من ديره ونزل إلى العالم لن ينج من سموم العالم وسهامه المميتة وتأثيراته المتعبة التي تحاول إثارة الأوجاع الساكنة فيه.

كما أنهم أظهروا مدى أهمية ثبات الراهب في قلايته، وعدم الخروج منها كثيراً. فقد شبهوا الراهب الذي لا يثبت في قلايته، ويُكثر الخروج منها، بالشجرة التي إذا أُكثر من نقلها لغرسها في أماكن أخرى، فإنها لا تُثمر ثماراً، وقد يعرضها هذا إلى الموت. هكذا أيضاً عدم ثبات الراهب في قلايته، وخروجه منها كثيراً يكون سبباً في عدم إثماره ثماراً روحية، وقد يعرضه هذا إلى الموت الروحي. كما قال داود النبي في المزمور: "مغرُوسين في بيت الرَّبِّ، في ديار إلهنا يُزهرُون" (مز ٩٢: ١٣).

كان إيمان أبينا القمص متاؤس السرياني بهذا المبدأ الرهباني، إيماناً قوياً جداً، ولهذا لم تستطع أن تزعزعه أية قوة، أو إغراء خارجي، أو أية دعوة للخدمة خارج الدير، عن ثباته في الدير، مما جعله يُثمر بغنى.

ونقول أيضاً أن أبانا القمص متاؤس استطاع أن ينقل إيمانه بالثبات في الدير، إلى أولاده الرهبان. إذ كان في معظم جلساته الروحية معهم، يحضهم بقوة على الثبات في الدير وعدم الخروج منه، وأيضاً على الثبات داخل القلاية، لا بقهر أو سلطان، إنما بحب، موضحاً جمال وسمو الحياة الرهبانية داخل الدير، ومدى كثرة النعم والبركات التي يجنيها الراهب من ثباته داخل القلاية.

والحق يُقال أن أبانا القمص متاؤس السرياني من القلائل الذين ثبتوا في الدير، ولم يزعزع أساساته بريق الخدمة ومجدها، على الرغم من معرفة آباء الكنيسة بشخصه التقي. أضف إلى ذلك أن العُرف السائد بين الرهبان في ذاك الوقت وما قبله أنه كان بعد أن ينال الراهب درجة الكهنوت يسعى باحثاً للنزول من الدير للخدمة في أية كنيسة في العالم، وكانت القلة القليلة من أمثاله هم الذين يُفضلون الثبات داخل الدير كل أيام حياتهم.

وتظهر بوضوح في كتابات أبينا القمص متاؤس السرياني، دعواته المتكررة للثبات في الطريق الرهباني داخل الدير حتى الموت، وكذا الثبات في الجهاد والثبات داخل القلاية. وهذا ما سوف نتتبعه الآن.

ففي إحدى تأملاته التي يحض فيها الراهب على الثبات في دعوته إلى النهاية، يقول قدسه: "ما أجمل أن يُكمل الإنسان دعوته التي دُعي إليها ثابتاً فيها إلى النهاية ". ويقول أيضاً: "ما دمنا اخترنا لأنفسنا حمل الصليب فلنكمله بالموت كما حدث لسيدنا".

ويوضح أبونا القمص متاؤس في تأمل له عن انخداع الراهب بالانتقال إلى دير آخَر للتخلص من الأتعاب، ليجد هناك أتعاباً أيضاً ولكن بصورة أخرى، فيقول قدسه: (فمن يستطيع أن يهرب أو يفلت من يده "**أين أذهبُ من رُوحك؟ ومن وجهك أين أهرُبُ؟**" (مز ١٣٩: ٧) وكثيراً ما يتبرم الإنسان من العيشة في

مكان ما ويقول لو تركت هذا المكان لوجدت راحة وتخلصت من هذه الأتعاب. ولكن ما يحدث أن في غير هذا المكان لا بد أن يجد الأتعاب، إن لم تكن بعينها فبصورة أخرى ومن نوع آخَر).

وفي تأمل لأبينا القمص متاؤس السرياني يُحذر من عدم الثبات لئلا يخسر الراهب كل شيء، فيقول قدسه: "إن **لم يثبت إلى النهاية** فسيخسر كل شيء، وهو وإن كان بدأ حياته الروحية سليماً ولكنه إذا لم يتمم إلى النهاية بمعونة الرب ويكون دائماً في جهاد ونشاط ونمو في الروح فلا بد أن يتأخر".

ويقدم أبونا الحبيب نصيحة غالية لكل من يسعى للوصول إلى الملكوت السماوي سواء كان راهباً أو علمانياً، فيقول له: "إن الرب يختمهما بشرط واحد وهو شرط الثبات وضرورة التقدم والنمو وعدم النكوص على أعقابنا".

ويوضح أبونا القمص متاؤس السرياني أنه لكي يستطيع الراهب أن يصل إلى الملكوت في **هدوء وثبات** عليه ألا يعبأ بالمخاوف والشكوك، فيقول قدسه: "من يستطيع الوصول في هدوء ويقوم ثابت دون انحراف؟ هو ذلك الشخص الذي لا يعبأ بما حوله من مخاوف ولا بما داخله من شكوك... ما دام مطمئناً تمام الاطمئنان أنه سائر إلى الهدف دون غرض. فلا شيء يعيقه ولا شيء يخيفه".

ثم يتطرق أبونا الحبيب إلى أنه ينبغي أن نكون أُمناء في حياتنا الرهبانية، وهذا يتطلب من الراهب أربع نقاط واحدة منها **الثبات**، فيقول قدسه: "ما أحوجنا نحن الرهبان أن نكون أُمناء ـ فالأمانة تتطلب منا الكثير في الجهاد والمحافظة على عهد التوبة وفي **الثبات** وتنمية الحرارة الأولى التي دفعتنا إلى الرهبنة، وليس ذلك إلى سنين أو أيام معدودة ولكنها أمانة حتى آخِر نسمة من الحياة".

ثم يستكمل أبونا القمص متاؤس حديثه عن الأمانة، فيُشير إلى ضرورة الأمانة والثبات في الرهبنة حتى الموت أو الشهادة ولا ينكث الراهب عهد الرهبنة المقدس، فيقول قدسه: "كذلك هى أمانة حتى الموت أو الشهادة. أي لو خُير الإنسان أن يرفض الإيمان بالمسيح أو **النكوث بالعهد المقدس** لفَضَّل أن يقدم رقبته للسيف أو جسمه لأنواع العذاب **من أن يتخلى عن هدفه** الذي وضعه أمامه".

ويُشير أبونا القمص متاؤس السرياني إلى أهمية الإيمان بالدعوة الرهبانية في ثبات الراهب داخل الدير، فيقول قدسه: "فلا يستطيع الراهب أن يثبت في الدير مجاهداً الجهاد القانوني في العبادة وحياة التوبة محتملاً ما يتبع هذه الحياة من أتعاب وتجارب وأمراض وبلايا من الناس والشياطين. **لا يستطيع أن يثبت في هذه الحياة إن لم يكن له إيمان قوي**".

ثم مرة أخرى يُشير إلى أهمية الثبات في الدير في تقوية الإيمان بالطريق الرهباني، وأنه حياة العمر كله، فيقول قدسه: "وما يُقَوي الإيمان، **حياة الثبات في الدير**، والمثابرة في العبادة والتقوى، مع تكميل الوصايا بروح التوبة التي هى حياة الموت التي بدأها الراهب حين صُلِّي عليه واعترفوا به أنه راهب وعندما نتأمل في حياة الموت نرى أن الميت لا شهوة له لا في وظائف عالمية، أي خدمات خارج الدير، أو مراكز دينية أو خلافه".

ثم يوضح أبونا الحبيب أن استعداد الراهب للموت، يجعله ثابتاً داخل الدير منتظراً انطلاق روحه من الجسد لينعم بالسماء، فيقول قدسه: "مثل هذا الراهب الذي يستعد للموت الحقيقي أظن أنه لا تستطيع قوة أن تنزعه من حياته التي التقى فيها بيسوع رجاءه وتعامل معه سنيناً عديدة فهو منتظر في هذا المكان (الدير) انطلاقه من الجسد لينعم بمن أحبته نفسه ومن هنا يأخذ العربون".

ويُشير أبونا الحبيب القمص متاؤس السرياني إلى أهمية جلوس الراهب وثباته داخل القلاية كعمل ضروري وسلوك رهباني بحت، وقد استعان قدسه بقول موجود في كتاب بستان الرهبان، اختبره عملياً في حياته وعرف بركاته، فقال قدسه: "اجلس في قلايتك وهى تُعلمك كل شيء".

ويوضح أبونا القمص متاؤس في كتاباته البركات التي تعود على الراهب من ثباته في الدير، فيقول قدسه: "ولكن عدو الخير لمعرفته أن في الثبات **إنتاج وثمار** لذلك يعمل كل جهده من أجل زعزعة الأفكار وقلقلة الراهب من ديره بكل الوسائل ويشن الحروب والمضايقات لعلمه أن في **ثباته خلاص أكيد**".

ويستكمل قدسه هذه البركات، فيقول: "ففي ثبات الراهب في مكانه وجهاده قدر استطاعته بإيمان ورجاء **حفظ كبير من الخطأ والزلل**".

وفي موضع آخَر يُشير أبونا الحبيب القمص متاؤس السرياني إلى موت الذات كبركة من بركات الثبات في الدير، فيقول قدسه: "وهكذا كانت وما زالت الرهبنة قبل أن تكون موت عن العالم فهى **موت الذات**. أموت أنا ليحيا المسيح فيَّ وما سماه مُعلّمنا بولس الرسول: "خلع الإنسان العتيق" ولا يتأتى ذلك إلا بنعمة خاصة وهبة من اللّه **بعد الثبات في الطريق** مدة حسب افتقاد النعمة. فصبراً صبراً طويلاً أيها المجاهد".

أخيراً يسمو أبونا الحبيب القمص متاؤس بإحدى بركات الثبات داخل الدير، وهى رؤية بالإيمان المستتر لوجه السيد المسيح، وذلك كعربون للثبات في الجبل، وجهاد ومشقة وخطورة الطريق الرهباني، فيقول قدسه: "**فالثبات في الدعوة**، دعوة الرب الواضحة للإنسان، هو في حد ذاته **رؤية قوية بالإيمان المستتر لوجه يسوع**. فمهما كان الذهاب إلى الجبل صعب ومتعب ومشقة الطريق

وخطورته كل هذه لا بد وأن تأتي بالراهب العابد الفرح بدعوة الرب إلى نقاوة القلب وبالتالي إلى رؤيته".

وفي اتضاع وعدم زهو بالثبات في الدير كنعمة مُعطاة من الله، يطلب أبونا القمص متاؤس من الله أن يؤازره بهذه النعمة، فيقول: "من اللَّه **نطلب الثبات** في الدعوة".

وفي موضع آخر يقول: "**من اللَّه نطلب** الكمال والوصول، **والثبات** في الوصول، لأننا بدونه لا نقدر أن نفعل شيئاً فبنعمته كل شيء كائن".

واستكمالاً لمفهوم الثبات كعطية ونعمة مُعطاة من الله للراهب، يوضح ويؤكد أبونا القمص متاؤس السرياني أن الثبات ثمرة من ثمار الحياة التعبدية الرهبانية، أي ثمرة الجهاد الرهباني فيقول قدسه: "من ثمار الحياة التعبدية الرهبانية الثبات مع الصبر في موضع واحد".

الشبع والعزاء الحقيقي

الإنسان هو نسمة من الله، لذا لن يجد الشبع والعزاء الحقيقي إلا في الله، وذلك من خلال الممارسات والفضائل الروحية التي بها يمكنه الاتصال بالله مصدر الشبع والعزاء الحقيقي.

ولهذا فأية محاولة من الإنسان، للحصول على الشبع والعزاء من أي مصدر، جسدي أو أرضي أو نفسي، فلن يمكنه الحصول على العزاء والشبع الحقيقي، لأنه في كل مرة ينفصل عن مصدر العزاء المؤقت، يتركه ليبحث عن مصدر آخَر لعله يجد فيه الشبع والعزاء. ولكنه للأسف يظل هكذا إلى أن يتذوق قليلاً من العزاء والشبع الحقيقي، عند تقربه من الله بممارسة روحية مارسها أو فضيلة ما اقتناها. هنا يُدرك خداع هذه المصادر الغير حقيقية، فيتركها ويلتصق بمصادر العزاء والشبع الحقيقي.

يُدرك هذه الحقيقة ويعيها جيداً، الراهب المجاهد، الذي لم يجد شبعه وعزاءه في العالم، بما فيه من شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة، فتركه وذهب يبحث عن الله داخل الدير ليأخذ منه العزاء والشبع الحقيقي. وينطبق ذلك تماماً مع ما حدث لأبينا القمص متاؤس السرياني، إذ لم يجد الشبع والعزاء الحقيقي الذي يبحث عنه في العالم وكانت نيران الدعوة الرهبانية تلهب قلبه بنار الحب الإلهي، وإذ لم يجد سبيلاً لإسكاتها سوى تنفيذها عملياً، تممها بالفعل وذهب إلى الدير ليلتقي بالله الذي منه أخذت نفسه الشبع والعزاء الحقيقي.

حتى الراهب الذي بداخل الدير، يُدرك هو أيضاً هذه الحقيقة، أنه لن يجد إطلاقاً أي عزاء أو شبع مع علماني أو مع صديق له أو إذا ما ملك أو حصل على شيء مادي، أو إذا سمع كلمة مديح من أحد ... إلا في الله وحده. لذا يقول مع

قداسة البابا شنوده الثالث في قصيدة همسة حب: "ليس لي في غربة العمر سواك". ووعى جيداً لهذه الحقيقة، أبينا القمص متاؤس السرياني، بعد خبرة طويلة معاشة، سجلها لنا في كتاباته وتأملاته التي خطها بيده.

ففي إحدى تأملاته عن السيد المسيح كباب للخراف الناطقة، الذي كل من دخل منه يخلُص ويجد مرعى، فتشبع وتتعزى نفسه، فيقول قدسه: "يسوع هو الباب. من وجده خلُص، ومن دخل إلى الأعماق وغاص في البحر الذي لا قرار له وجد من التعزيات الفياضة ما لا يستطيع اللسان أن يعبر عنها". ثم يستكمل تأمله، ويقول: "تُرى أليس هذا المرعى هو الذي رعى فيه آباؤنا القديسون ومنه اغتذوا وبه عاشوا وأعطونا من دسم تعاليمهم مما شبعت نفوسهم وارتوت؟".

ويستمر أبونا المحبوب القمص متاؤس في تأملاته الروحانية، وإذ يرى أن الله هو المرعى الحقيقي الذي ترتع فيه كل نفس تحبه، وقت خلوتها به وتأملها فيه. فتحظى منه بمعرفة أسرار ملكوت الله وهناك تسكر في حبه، وتنسى الجسد وما له، وترتفع قارعة بابه فقام في الحال واستقبل عروسه من شدة حبه لها. ثم يقول أبونا الحبيب: "هناك شبعت وارتوت (أي النفس) من النبع الحي الذي لا ينضب".

وفي موضع آخَر يكتب أبونا القمص متاؤس شارحاً حالة الراهب الذي لا يأخذ عزاءه وشبعه من الله الذي بداخله، فيقول: "ما أشقى الحياة وما أتعسها وخاصة للراهب المتوحد في ذاته حين يفقد تعزية الآخرين **ولا يشعر بعزاء من داخله**".

لذا يقول قدسه: "لا تطلب عزاءً موضوعاً خارجاً عن القلب"، ويقول أيضاً: "فإذا كنا نؤمن أن اللّه ساكن فينا إذاً فليأخذ كل أحد منا **عزاءه من داخله**".

ويكتب أبونا القمص متاؤس السرياني مُشيراً إلى أهمية الالتصاق بربنا يسوع المسيح لنأخذ منه العزاء والشبع الحقيقي في أحزاننا وضيقاتنا وشدائدنا التي تصيبنا ونحن في الجسد، فيقول قدسه: "لذلك ما أشد حاجتنا إلى أن نلتصق بربنا يسوع المسيح ونكّون معه دالة الحب وعشرة لا تنقطع فيكون هو **معزينا في أحزاننا** وناصرنا في ضيقاتنا وشدائدنا التي تُصيبنا ونحن في الجسد". ويقول قدسه في موضع آخَر: "فمنه تأخذ (أي النفس) **تعزياتها** وبه تحارب وتنتصر على الأعداء".

ويتطرق أبونا القمص متاؤس السرياني إلى نقطة هامة لكل من يسعى للحصول على العزاء والشبع من خلال الأمور المادية والاهتمامات العالمية فيقول قدسه: "حينما يدخل (السيد المسيح إلى القلب) يشعر بجفاف النفس التي لم تجد **تعزياتها** في كل الأمور المادية والاهتمامات العالمية يشعر بجوع نفوسنا وظمأها **فيرويها** من مياه نعمته **ويشبعها** من محبته".

وحدث وقت كتابة أبينا القمص متاؤس لبعض تأملاته أن قلبه ارتفع بصلاة غاية في العمق والروحانية سجلها في نهاية تأمله، لكي ما تكون لنا ذخراً ومنفعة لنفوسنا، وبها نتعرف على أعماق قلبه وفكره المملوء بروح الله تطرق في جزء منها إلى ظمأ نفسه، التي لم يستطع العالم بكل مبهجاته وأفراحه أن يرويها أو يشبعها إذ أن فرحها وراحتها وطمأنينتها في الله فيقول قدسه: "نفوسنا ظمأى ولم يستطع العالم بكل مبهجاته وأفراحه أن **يرويها أو يشبعها**، ولكن فرحها وراحتها وطمأنينتها فيك أيها الساكن في السماء والناظر إلى المتواضعات".

ويسجل لنا أبونا القمص متاؤس السرياني حواراً مع نفسه، أو قُلْ أنه كان يُحاسب نفسه ويعاتبها على فراغها بسبب عدم الصلة بالينبوع الحق الذي لا ينضب أي الله، فيقول قدسه: "إذا لم أوطد نفسي في الحق ذاته من الآن حتى

أصير جزء منه لا يتجزأ. فلا منفعة لي. لأن جميع الكرامات الحاصلة لي الآن من الآخرين، أو ما أتمتع به من مباهج هذه الحياة وملذاتها لا بد له من نهاية إما بحياة أو موت. ثم أنظر إلى ذاتي فأجدها فارغة. فارغة من **التعزية** الباطنة التي منبعها السلام العميق. فارغة من عمل النعمة الذي يشد أزري في الملمات والمحاربات، خفية وظاهرة. فارغة من الصلة المستمرة بالينبوع الحق الذي لا ينضب **الذي منه تأخذ النفس غذاءها**".

وفي إعلان صريح لأبينا القمص متاؤس يعترف أنه لا أحد يستطيع أن يُشبع نفوسنا الفقيرة الجائعة سوى إلهنا الصالح، فيقول قدسه: "فمبارك هو **إلهنا الصالح** الذي يستطيع أن **يُشبع نفوسنا** الفقيرة الجائعة".

وفي معرض آخَر من تأملات أبينا القمص متاؤس السرياني يعلن مدى الحاجة إلى الحصول على المن السماوي في داخلنا واتحاده بنا ليكون هو غذاءنا وعزاءنا، فيقول قدسه: "فنحتاج إلى الحصول عليه في داخلنا واتحاده بنا وأن نكون مسكناً له ولأننا بدونه لا نقدر أن نفعل شيئاً. نحتاج أن نُجاهد ونتعب في طريق التوبة الضيق الكرب بصبر لنتخلص من الإنسان العتيق ونلبس الإنسان الجديد فيكون هو **غذاءنا وعزاءنا** ".

أخيراً يُعلن لنا أبونا الحبيب الحقيقة التي من أجلها لن نشعر بتعزية أو شبع حقيقي من أمور العالم الفانية والخطايا التي يُثيرها فينا، فيقول قدسه: "لأنه واضح أننا نحن المسيحيين لسنا من هذا العالم. فلو كنا من هذا العالم وخاضعين لرئيس هذا العالم **لكانت تعزيتنا بأموره الفانية** وبمجاذبات الخطية التي يُثيرها رئيسه علينا".

الاتضاع

دعا السيد المسيح إلى فضيلة الاتضاع حينما قال: "تعلَّمُوا منِّي، لأني وديعٌ ومُتواضع القلب" (مت ١١: ٢٩). ومن هنا تأتي أهميتها وضرورة اقتنائها. حقيقةً لا أعرف كيف أبدأ في كتابة هذا الموضوع الهام جداً والخطير أيضاً، إذ عليه تُعلق جميع الفضائل لأنه كما قال عنه الآباء: "أنه أرض حاملة الفضائل"، "وهو نعمة تعطى لأجل تكميل الفضائل، "وهو الغلاف الذي يحفظ الثمر".

"حقاً ما أجمل الكلام عن التواضع! هذه الفضيلة التي مدحها جميع القديسين وأثنوا عليها كثيراً إذ أنها حلة اللاهوت التي لبسها ربنا إذ تجسد وأخذ شكل العبد وبدون هذه الحلة لم تستطع البشرية أن تتشرف وتتقدس بحلول رب المجد بينها جسدياً". (القمص متاؤس السرياني).

رأيت أنه من الأفضل - قارئي العزيز - أن أبدأ لك في هذا الموضوع بما كتبه أبونا القمص متاؤس السرياني عن التواضع، هذه الفضيلة التي تشبعت بها حياته وتصرفاته وتعاليمه، ورآها أولاده الرهبان مجسمة في شخصه الحبيب، وسمعوها من فمه الطاهر وحفظوها في قلوبهم ذخيرة لحياتهم. فهيا معاً كي نتتبع أقوال أبينا القمص متاؤس التي خطها بيده الطاهرة في مذكراته وتأملاته الخاصة.

احتمال أن يكون حدث بعض السجس بين الرهبان من جهة شخص ما أو راهب ما، وأدانوه في تصرفاته وبعض أقواله، فلما رأى هذا أبونا القمص متاؤس السرياني، أراد أن يوقف نفسه من فكر إدانة الآخرين فكتب قدسه في اتضاع عجيب، يقول: "فقط هنا أود أن أُنذر نفسي الشقية المملوءة بالخطايا والآلام والضعفات والأوجاع لعل الرب ينظر لمسكنتي ويشفي انكسار قلبي".

ويوضح أبونا القمص متاؤس في بداية التأمل أن موضوع الإدانة كان عن فلان متواضع وفلان متكبر، فلان محب وفلان غير محب، فلان مطيع وفلان غير مطيع. لذا في اتضاع وانسحاق يقر أنه لا يوجد متواضع حقيقي سوى يسوع المسيح، ويبرهن أنه لا يوجد اتضاع حقيقي للبشر لأنه تراب وكيف للتراب أن يتواضع، فيقول قدسه في ذلك: "ليس هنالك متواضع حقيقي سوى يسوع المسيح الإله المتجسد إذ وأنه واحد مع أبيه في المجد تنازل من علو سماه وأخذ ما لنا وأعطانا ما له. سر يفوق العقول. أما إذا وصف إنسان بهذه الصفة (التواضع) حسب رأيي أنها ليست حقيقية للطبيعة البشرية وكيف للتراب أن يتواضع؟ التراب من الأرض أُخذ فهل إذا نظره إنسان يظن أنه لآلئ ثمينة وجواهر غالية القيمة؟! حاشا وكلا. إنما أردنا أن نُعبر عن صفة لا حقيقة والحقيقة هى في الإنسان الكامل يسوع ابن اللّه".

وفي العظة التي ألقاها أبونا القمص متاؤس السرياني في يوم عيد الميلاد عام ١٩٥٠م يرد على نفسه حينما يراودها فكر شرير في تبكيت وانسحاق مُذكراً إياها بالنظر إلى التراب أمه ومنه خُلق وإليه سيعود، فيقول قدسه: "وأحياناً أنظر إلى نفسي الشقية حينما يراودني فكر شرير وأقول فيما تفكر أيها التعيس البائس أقل البشريين! انظر إلى التراب إنه أمك ومنه خُلقت وإليه ستعود".

ومرة أخرى يُذكر نفسه بالتراب، فيقول: "ومن نحن التراب والرماد حتى نقول أننا نحب اللّه لكنه تعالى في شامل عطفه وحنانه يهبنا حبه إذ يُظهر بنعمته إنساننا الداخلي ويحل فيه فتغلي قلوبنا بمحبته وتلهج ألسنتنا بحمده وتسبيحه".

ويقدم أبونا القمص متاؤس فضيلة الاتضاع كنصيحة أبوية لتفادي فخاخ إبليس المنصوبة للمجاهدين في الطريق الرهباني (الروحاني)، فيقول قدسه: "ما أكثر الفخاخ المنصوبة في الطريق الروحاني ... المتضعون يفلتون منها".

وفي قول له يُظهر أهمية الاتضاع وإنكار الذات في حفظ الثمار الروحية للراهب، فيقول قدسه: "الغلاف الذي يحفظ الثمرة بالنسبة لنفس الراهب هو المسكنة نعني بها الاتضاع وإنكار الذات وأن يكون الإنسان غير محسوب ولا معروف عند الناس". ويقول أيضاً: "إذ أن الاتضاع نعمة تُعطى لأجل تكميل الفضائل وهو أيضاً أرض حاملة الفضائل". ثم يستكمل أبينا القمص متاؤس موضحاً كيف يسلك الراهب المتضع، فيقول: "لذلك يلزم الراهب أن يكون مجهولاً من الجميع حيث لا كرامة ولا مديح ولا اعتناء يوجه له حينئذ يضمن لنفسه أن تكون مستورة ومحفوظة من مجد هذا العالم الزائل". وفي موضع آخَر يُحذر قدسه من المجد الباطل كآفة تصيب الفضائل ومنها الاتضاع، فيقول: "لنحذر أولاً من المجد الباطل الذي هو آفة الفضائل ويهدم برج التقوى. إذن فلنُسرّ بالهزء والهوان والسخرية وكل ما يسوقه عدو الخير لعرقلة طريقنا إلى يسوع حبيبنا، ولا نجعل للمديح راحةً والتذاذاً في أنفسنا، فليس فقط يكفي رفضه باللسان بل من عمق أنفسنا حتى ولو لم نرد بكلمة على من يمدحنا متذكرين أخطاءنا ونقائصنا في الماضي والحاضر".

يواصل أبونا القمص متاؤس اتضاعه والشعور بضعفه فيتساءل من يستطيع أن يخلُص بجهده الخاص لأنه قال: "بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً". فيجيب كإنسان في أشد الاحتياج إلى المعونة والمؤازرة من الله الحنون، فيقول: "إذن ما أشد حاجتنا أن نلح ونطلب دائماً المعونة والمؤازرة من إلهنا الحنون الذي لا يشاء أن يُهلك أحد منا". ومرة أخرى يُظهر هذا الاحتياج الذي ينم عن الاتضاع، فيقول: "لأستطيع أن أقول مستعد قلبي يا اللّه مستعد قلبي، لأني بدونك لا أقدر أن أفعل شيئاً".

وهناك أقوال أخرى مشابهة تنم عن اتضاع داخلي عميق في نفس أبينا القمص متاؤس السرياني نذكر بعضاً منها، يقول قدسه: "فلولا معونته لم يخلُص جسد ما"، "مستمدين العون منه لأننا بدونه لا نستطيع أن نعمل شيئاً"، "إذاً ليس مجهودنا الشخصي الذي نبذله هو كل شيء ولكن افتقاد النعمة في الوقت المعين وحسب الاختيار"، "فنحتاج إلى الحصول عليه في داخلنا واتحاده بنا وأن نكون مسكناً له ولأننا بدونه لا نقدر أن نفعل شيئاً"، "طالبين معونته لأننا بدونه تعالى لا نقدر أن نعمل شيئاً"، "فلنسأل منه العون دائماً لأننا بدونه لا نستطيع أن نفعل شيئاً"، "من اللّه نطلب الكمال والوصول، والثبات في الوصول، لأننا بدونه لا نقدر أن نفعل شيئاً فبنعمته كل شيء كائن"، "فنطلب منه العون لنكون في يقظة من فخاخ العدو المنصوبة، ومن ضعف طبيعتنا وشدة ميلانها إلى السقوط إن لم تؤازرها قوة الرب".

ويوجه أبونا القمص متاؤس السرياني نصيحة لمن يتعجل من الرهبان ترك خدمة المجمع والخروج إلى الوحدة، فيقول قدسه: "يحسن جداً ما دمنا نرى في أنفسنا أننا مازلنا أحياء ولم نمت بعد كما يجب أن نثبت على ما نحن عليه باتضاع قلب".

وفي أنشودة رائعة يُظهر أبونا القمص متاؤس اتضاعه العجيب كطفل صغير لا يعرف السير في الطريق الرهباني الضيق، إذ ليس له قوة وجهاد آبائه الأوائل، فيقول قدسه: "صُغار نحن يا ربي ولسنا نعرف الطريق الضيق كما أنه ليس لنا قوة وجهاد آبائنا الأوائل الذين كملوا سعيهم في هذه الدعوة المباركة التي للرهبنة المجيدة".

وبصورة أخرى يُظهر اتضاعه عن طريق الإقلال من أهمية جهاده الشخصي، فيقول قدسه: "إذاً ليس مجهودنا الشخصي الذي نبذله هو كل شيء ولكن افتقاد النعمة في الوقت المعين وحسب الاختيار". وتأكيداً لما سبق يقول أيضاً: "ونظن

أيضاً أن نوال المواهب يتأتى لنا إذا ما جاهدنا بكل قوانا واعتمدنا على برنا الشخصي".

ثم يقول في موضع آخَر: "لأن كل أعمالنا أمامه كلا شيء إذ قد بررنا بدمه الكريم". ويعلق أبونا القمص متاؤس السرياني نجاح الراهب في صلته بالله، على الشاعرين بضعفهم وعجزهم وعدم معرفتهم نستطيع أن نقول بصفة عامة شاملة على المتواضعين، فيقول قدسه: "في الحياة الروحية نجد الناجحين في صلتهم باللّه، وخاصة في حياة الرهبنة، كانت الجبال والمغائر تمتلئ بأمثلة هؤلاء الشاعرين **بضعفهم وعجزهم وعدم معرفتهم**". ثم يستكمل حديثه عن هؤلاء الناجحين من الرهبان في حياتهم الرهبانية مُشيراً إلى إتمام خلاصهم بخوف ورعدة واتضاع، فيقول: "لذلك نالوا بإيمانهم وتموا خلاصهم بخوف ورعدة **واتضاع** فسلِموا من فخاخ العدو الكثيرة ...".

ويُرجع أبونا القمص متاؤس السرياني النمو الروحي للراهب إلى شرط أساسي وهو التواضع وإنكار الذات ويستند في ذلك على ما قرأه في سيَّر الآباء الرهبان، فيقول قدسه: "كما نقرأ في سيَّر الآباء الرهبان جميعاً نجد الشرط الأساسي في نموهم الروحي هو **تواضعهم وإنكارهم للذات** فكانت كل حياتهم عبارة عن جهاد مميت في كيفية موت الذات ليحل محلها المسيح. فبمقدار نزول الراهب إلى أعماق الاتضاع بمقدار ارتفاعه إلى علو الفضيلة".

وفي تأمل لأبينا القمص متاؤس السرياني يصف الشخص المتواضع، فيقول: "فالشخص المتواضع حقاً وليس زيفاً أو شكلاً أو رياءً والذي ينبع التواضع من داخله شيئاً تلقائياً طبيعياً هو بذاته محباً للّه منكراً للذات ولكل شهواتها المختلفة ".

ويُظهر أبونا القمص متاؤس السرياني أهمية فضيلة الاتضاع والتذلل في استجلاب مراحم الرب ليُقيمنا من خطايانا ويعطينا نعمة وقوة ونمواً في الروح،

فيقـــول: "فيلزمنا أن نتذلل ونتواضع عند أقدام المُخلِّص لأنه وحده الذي يستطيع بكلمة واحدة أن يقول للميت الذي أنتن هلم خارجاً فيقيمنا من خطايانا وبدل ضعفاتنا يُعطي نعمة وقوة ونمواً في الروح".

وفي شوق وحنين يطلب أبونا القمص متاؤس أن يجعله الله من العابدين الساجدين له في اتضاع وإنكار ذات، فيقول قدسه: "جعلنا اللّه من العابدين الساجدين له بالروح والحق **في اتضاع وإنكار للذات** وبغضة لشهوات العالم ومناصبه وكراماته".

كان أبونا القمص متاؤس السرياني يعي جيداً أهمية اقتناء الراهب لفضيلة التواضع لذلك كان دائماً يحث أولاده الرهبان على اقتنائها، حتى في كتاباته وخطاباته التي كان يُرسلها لأولاده في الأديرة الأخرى. فنجده يُرسل خطاباً للراهب شنوده الأنطوني بمناسبة رهبنته (فيما بعد نيافة الأنبا يسطس أسقف ورئيس دير الأنبا أنطونيوس)، يقول فيه: "**فأسلك بالمحبة والاتضاع وإنكار الذات والموت عن العالم**"، وبعدها يقدم له نصيحة غالية في طريق جهاده للملكوت وهى التحلي بفضيلة الاتضاع التي بها يتخطى المعوقات والحروب التي تقابله، وينجو من فخاخ إبليس المنصوبة، فيقول له: "وفي طريق جهادك للملكوت هنالك معوقات كثيرة وحروب عديدة من كل صنف ولون. إذ أن الفخاخ منصوبة للراهب من عدو الخير لإعاقته عن طريق الفضيلة ولكن **بفضيلة الاتضاع** تكسر كل فخاخه وتنتصر بقوة الرب".

ويظهر بجلاء شديد اتضاع أبينا القمص متاؤس السرياني في الخطابات التي كان يُرسلها لأولاده ومحبيه، فكثيراً ما كان يُذيل الخطابات بتوقيع جاهل، أو أحقر الرهبان، أو الحقير في الرهبان، أو بفم أحقر الرهبان وأصغرهم، أخوك، أخوك في الرب.

أما داخل الخطابات فكانت تحتوي على عبارات غاية في التواضع والانسحاق نذكر لك بعض منها: "لا تنسى أن تذكر حقارتي في الصلاة"، "لا تنسى أن

تذكر دائماً في صلواتك العبد الحقير الضعيف"، "أرجو ألا تنسى ضعفي في صلواتك"، "ومَنْ أنا حتى أوضح هذا وقدسكم الأب والعالم والمعلم". وفي خطابه للأنبا شنوده (قداسة البابا فيما بعد) يقول له: "وبالنسبة لشخصي الضعيف الحقير ..."، ثم يقول في نهاية الخطاب: "في الختام أُقبل الأيادي المباركة مع طلب الصلوات".

ونجد أيضاً أبانا القمص متاؤس السرياني يستخدم عبارات الاتضاع والتحقير من شخصه في بعض تأملاته وكتاباته، وظهر أيضاً في العظة التي ألقاها يوم عيد الميلاد من عام ١٩٥٠م، إذ يقول فيها: "وأني أرى ذاتي أنني **لست أهلاً** للوقوف بين يديكم **وغير مستحق** للحديث معكم إذ أنني خاطئ وضعيف"، ثم يواصل حديثه فيقول: "**فكطفل صغير** في العائلة المقدسة اصفحوا عن **ضعفي وحقارتي** لأتحدث مع قداستكم بروح المحبة". وحينما سُئل عن ماذا يُفضل للوصول إلى الله، أجاب باتضاع عجيب: "**لعلي أنا آخِرهم** كلهم أقول **بجهل وعدم معرفة** ليس هناك أفضل من الالتصاق باللَّه". وفي موضع آخَر يوبخ ذاته، فيقول: "وما ذلك إلا لأني **أنا الشقي** انحرفت عن طريق آبائي ...". وفي اتضاع، شاعراً بكثرة خطاياه، يقول: "كذلك ليس التلميذ أفضل من مُعلمه. فإن كان وهو البار احتمل الحزن والهوان فكم بالحري **أنا المملوء بالخطايا مستحق أن أموت** من أجله كل يوم ...".

أخيراً ... اعترف بأنني لم أستطع أن أُظهر حقيقة فضيلة الاتضاع في حياة أبينا القمص متاؤس السرياني، وذلك لتخللها في كل حياته وتصرفاته وأقواله، ومن ثم فمن الصعب إجمالها، ولكنني حاولت رصد البعض منها، لكي ما تكون قدوة وعوناً لنا في جهادنا.

الجدية والجهاد

إن كانت طبيعة الحياة العالمية تتطلب الجدية والجهاد لكي يُحقق الإنسان طموحاته وأهدافه التي رسم لنفسه تحقيقها. فبالأولى كثيراً، الحياة الروحية تستلزم منا جدية وجهاد أكثر ضراوة، لأن الجهاد فيها ليس مع لحم ودم، بل مع أجناد الشر الروحية في السماويات (أف ٦: ١٢). فعدونا الشيطان قوي ولا يهدأ عن محاربة أولاد الله، ولكن ضعفنا بالله أقوى منه بكثير، ونستطيع أن ننتصر عليه.

ومن جهة أخرى، فإن ضعف طبيعتنا البشرية وميلها للتواني والكسل وفعل الخطية، تحتاج منا الجدية والجهاد العنيف المستمر الذي لا يتوقف لحظة، لأن التهاون في الجهاد قد يؤدي إلى نكسة روحية، تهدم كل البناء الروحي الذي عملناه. كما إن اكتساب الفضائل وممارستها تحتاج إلى جدية وجهاد كبير، لكي يستطيع الراهب أن يصل إلى الالتصاق بالله.

كل هذه الأسباب جعلت أبانا القمص متاؤس السرياني جاداً في حياته الرهبانية، وجهاداته الروحية منذ دخوله الدير. ولعلك لاحظت هذا - قارئي العزيز - عند قراءتك لسيرة حياته الرهبانية. لذا فلن أُدخلك إليها مرة أخرى، لأكتفي هنا بعرض ما كتبه في تأملاته وأقواله عن الجدية والجهاد، لنرى ونعرف معاً فكره الرهباني الأصيل عن الجدية والجهاد.

الجهاد وسيلة وليس غاية:

في نضوج روحي يوضح لنا أبونا القمص متاؤس السرياني أن الجهاد ليس غاية في الحياة الروحية، ولكنه وسيلة فقط تُساعدنا على التصاقنا وثباتنا في محبة

الله، فيقول قدسه: "وليس معنى قولنا الالتصاق بالرب أن نلغى الجهادات المعروفة في طريق الفضيلة، ولكن ليس معنى ذلك أن نُركز كل جهدنا عليها كأنها **غايتنا** في الحياة الروحية، إنما **هى وسيلة فقط** تُساعدنا على التصاقنا وثباتنا في محبة الرب".

الجهاد والنعمة:

وفي تأمل آخَر لأبينا القمص متاؤس، يوضح أن أي جهاد نقوم به ما هو إلا لنجذب رحمة الرب إلينا، لأن أعظم الجهادات لا تفي حق أصغر الخطايا، فيقول قدسه: "فليس عمل الإنسان هو كل شيء إنما ما نُقدمه أمام الرب من تذلل بأنواع النسك والتقشفات ما هو إلا **لنجتذب رحمة الرب** إلينا **ونستدر عطفه وحنانه** علينا ... ولكن أعظم الجهادات والإماتات لا تفي حق أصغر الخطايا. إذاً ليس لنا سوى الإيمان القوي الثابت في أن نتطهر بالدم الزكي المسفوك لأجل الخطاة". وفي حكمة وإدراك روحي عميق، يوجه أبونا القمص متاؤس أنظارنا إلى عدم الاتكال على ذواتنا في الجهاد الروحي، بل يجب أخذ القوة والعون من الله حتى يسندنا في طريق جهادنا، فيقول: "ذهب (يسوع) إلى جبل الزيتون ليُعلمنا أن نستمد العون في ضيقاتنا وأحزاننا من الآب السماوي في الخلوة والهدوء، لتُعلم طلباتنا ونَتَسمع صوته، بل **ونأخذ القوة والعون** في حينه **للمكافحة والجهاد** في الطريق".

ويكشف أبونا الحبيب القمص متاؤس السرياني، عن أحاسيس ومشاعر يتعرض لها المُجاهد في طريق الرب، كأنه سالك في ظلمة حالكة، وفي النهاية يرى ويسمع الرب على حين غفلة، فيوضح له أبونا الحبيب أن رؤية وسماع الرب ليس لمجهودنا الشخصي، إنما لافتقاد النعمة له في الوقت المعين، فيقول قدسه:

"في أحيان كثيرة يرى الإنسان المُجاهد في طريق الرب كأنه سالك في ظلمة وظلمة حالكة لا نهاية لها. يود أن يرى رؤيا أو منظراً روحاني يشتاق أن يسمع صوت اللّه لتتعزى نفسه وتتشجع في الضيقات الكثيرة والآلام التي يجوزها. ولكن يسير كمن يتلمس الحائط في الظلام.

وهو لا يدري أن الرب قريب منه جداً بل معه. ولكنه يخفي ذاته عنه وله في ذلك تعالى قصد سامي. وأخيراً يرى ويسمع إلهه المشتاق إليه على حين غفلة وذلك حين يسمح الرب بذلك. إذاً **ليس مجهودنا الشخصي الذي نبذله هو كل شيء ولكن افتقاد النعمة في الوقت المعين** وحسب الاختيار".

ومرة أخرى يجزم أبونا القمص متاؤس أنه لم يرى ولم يسمع ولم يقرأ عن أحد من الرهبان المجاهدين نال نعمة أو موهبة بجهاده الشخصي. وفي النهاية يُعلن حقيقة هامة وخطيرة لكل مُجاهد، وهي أن كل جهاد له عمله ولكنه يصبح كعدمه إذ لم تؤازره النعمة، فيقول قدسه: "لم نرى ولم نسمع أو نقرأ عن أحد من الرهبان المجاهدين في الميدان حسناً أنه نال نعمة أو موهبة أو تقدم روحياً نتيجة عمله البشري أو بقوة ذراعه. ليس معنى هذا أن ننكر الجهادات المختلفة بأنواعها الكثيرة في الطريق الرهباني بل هذه لها عملها الهام **إنما تبقى كعدمها إذا لم تؤازرها النعمة**".

طبيعة الجهاد:

ويكشف أبونا القمص متاؤس السرياني عن طبيعة الجهاد الرهباني، في العظة التي ألقاها في عيد الميلاد المجيد عام ١٩٥٠م، فيقول قدسه: "وإن كان جهادها في غربتها عن موطنها السماوي **شاق**، فبنظرنا إلى السمائيات تهون علينا آلام الأرضيات".

وفي موضع آخَر يكشف أبونا الحبيب عن طبيعة الجهاد الرهباني بأنه ليس يسيراً، فيقول: "هناك جهاد **وليس الأمر يسيراً** فلا نترك الحبل على الغارب ولا نترك أنفسنا لتختار ما تشتهي".

ويُظهر أبونا القمص متاؤس طبيعة الجهاد الذي قاساه رهبان البراري للحصول على ثمار الروح والتخلص من آلام الإنسان العتيق، فيقول قدسه: "أما ثمار الروح الداخلية ... والتي من أجل الحصول عليها عاش آباؤنا القديسون طوال حياتهم في البراري في **ضيق وتقشف ونسك صعب** ليقتنوها. هذه الثمار الروحية أصبح الذين يترجون نوالها أو التخلُص من آلام الإنسان العتيق، أصبح هؤلاء الرهبان مجاهدون حقاً".

ويواصل أبونا الحبيب وصف معاناة هؤلاء المجاهدين، فيقول: "نعم أصبحوا **مكروهين ومنبوذين ويُنسَب لهم العجز والفشل وكأنهم مبتدعين** طريقة جديدة على الرهبنة لا لشيء إلا لأنهم يريدون أن يدخلوا من الباب الضيق ويجاهدوا الجهاد القانوني في دعوة الرهبنة التي دعوا إليها".

ويعبر أبونا القمص متاؤس عن طبيعة الجهاد وقسوته لإماتة الذات، ويصفه بالجهاد المميت، فيقول قدسه: "كما نقرأ في سيَّر الآباء الرهبان جميعاً نجد الشرط الأساسي في نموهم الروحي هو تواضعهم وإنكارهم للذات فكانت كل حياتهم عبارة عن **جهاد مميت** في كيفية موت الذات ليحل محلها المسيح".

وكتب أبونا القمص متاؤس السرياني خطاباً للراهب شنوده الأنطوني بمناسبة رهبنته (فيما بعد نيافة الأنبا يسطس أسقف ورئيس دير الأنبا أنطونيوس) يحذره من المعوقات الكثيرة والحروب والفخاخ المنصوبة التي سيلاقيها في جهاده إلى الملكوت، فيقول له: "وفي طريق جهادك للملكوت هنالك **معوقات** كثيرة

وحروب عديدة من كل صنف ولون. إذ أن الفخاخ منصوبة للراهب من عدو الخير لإعاقته عن طريق الفضيلة".

وفي تأمل لأبينا الحبيب عن خطية الزنا، ووجوب الهروب كوسيلة للنجاة منها، يتطرق في حديثه عن فضيلة الطهارة وضرورة المحافظة عليها بالجهاد حتى الدم، فيقول قدسه: "والطهارة التي ينبغي لنا أن نُجاهد من أجلها **حتى الدم**". ومرة أخرى يقول: "ما أجمل القداسة التي تخرج من **كور التجارب وبوتقة الآلام** مثل الذهب المُصفى".

متطلبات الجهاد:

يكشف أبونا القمص متاؤس السرياني، نتيجة خبرة السنين العديدة التي قضاها قدسه في جهاد عنيف، عن أهمية النشاط والمثابرة كمتطلبات الجهاد الروحي للراهب، فيقول قدسه: "الشهيد الحقيقي هو المجاهد **بنشاط ومثابرة** في نطاق دعوته القانونية دون خداع ومخاتلة بل من القلب للّه وليس للناس".

وفي موضع آخَر يرى أبونا الحبيب أن الجهاد يتطلب استمرارية ونشاط دائم ويقظة، فيقول قدسه: "فحياة الغربة في هذه الأرض هى حياة **جهاد مستمر بنشاط دائم**، إذ قد اُختير الرهبان لهذه الدعوة السامية من رب الكرم للتسبيح والتمجيد الدائم **بيقظة** لئلا ينحرفوا إلى اليمين أو إلى اليسار من قِبَل العدو المضاد فيتخلفوا عن المسير إلى الأمام في طريق الملكوت". ويقول أيضاً: "فنطلب منه العون لنكون في **يقظة** من فخاخ العدو المنصوبة". ويقول أيضاً: "ينبغي للراهب أن يكون دائماً **يقظاً وساهراً** لئلا تسلب منه أمتعته".

ويرى أيضاً أبونا القمص متاؤس السرياني حاجة الرهبان إلى الأمانة، والتي تتطلب منهم الجهاد. ثم يرجع ويقول أن الأمانة حتى آخِر نسمة من الحياة، وحتى

الموت أو الاستشهاد. ولأنه ربط الأمانة بالجهاد، لذا فالجهاد أيضاً يتطلب أمانة واستمرارية حتى آخِر نسمة من الحياة وحتى الموت أو الشهادة، فيقول قدسه: "ما أحوجنا نحن الرهبان أن نكون أمناء ـ فالأمانة تتطلب منا الكثير في الجهاد والمحافظة على عهد التوبة وفي الثبات وتنمية الحرارة الأولى التي دفعتنا إلى الرهبنة، وليس ذلك إلى سنين أو أيام معدودة **ولكنها أمانة حتى آخِر نسمة من الحياة**. كذلك هى **أمانة حتى الموت أو الشهادة**".

يُشير أيضاً أبونا القمص متاؤس إلى فضيلة الصبر كعامل هام من متطلبات الجهاد الروحي، فيقول قدسه: "إذاً **فالجهاد** في الغلبة **بالصبر**" "**بصَبرِكُمُ اقتنُوا أنفُسكُم**" (لو ٢١: ١٩).

وينبه أبونا الحبيب أولاده الرهبان ألا يتهاونوا بالوصية مكتفين بأنهم رهبان، بل عليهم الاستعداد والسهر، فيقول قدسه: "جعلنا الرب من **المستعدين الساهرين** على تنفيذ وصايا الرب ولا نكتفي فقط بأننا رهبان بينما نترك النظر والفكر يطيش في كل مكان متهاونين بالوصية".

ويرى أبونا القمص متاؤس أن الجهاد يتطلب تعب وصبر، فيقول قدسه: "نحتاج أن **نُجاهد ونتعب** في طريق التوبة الضيق الكرب **بصبر** لنتخلص من الإنسان العتيق ونلبس الإنسان الجديد فيكون هو غذاءنا وعزاءنا".

ويرى أيضاً أبونا القمص متاؤس أن الجهاد يحتاج إلى اهتمام شديد من المجاهد، فيقول قدسه: "إذن **فلنهتم** بتنقية قلوبنا وتطهير أنفسنا من آلام الإنسان العتيق بمعونة الرب".

وفي حكمة أبوية ناتجة عن خبرة عملية، يقدم أبونا القمص متاؤس نصيحة، دوماً يقولها لأولاده الرهبان في جلساته الروحية معهم، وهى الصبر والجهاد بتؤدة وتعقل وحكمة، فيقول قدسه: "**فلنصبر إذاً وننتظر طويلاً ولنجاهد بتؤدة وتعقل**

وحكمة حتى ولو لم نُعطي مواهب في هذا الدهر لأننا للمسيح فقط طالبين وليس لمواهبه". ومن ثم يقول: "من هنا نعلم أن المواهب والثمار الروحية تكون دائماً بعد **فترة طويلة من العبادة الحقيقية ومحبة اللّه** في تكميل وصاياه، ولذلك تكون ثابتة وأكيدة".

وفي تأمل لأبينا القمص متاؤس السرياني يُشير فيه إلى ضرورة الجهاد في العبادة والنمو في الفضائل وفي معرفة ربنا، وأن يكون الجهاد بنشاط ونمو في الروح فيقول قدسه: "الذي يريد الرهبنة... ويجاهد أن ينمو في الفضائل وفي معرفة ربنا... ويكون دائماً في **جهاد ونشاط ونمو** في الروح".

ويحض أبونا الحبيب القمص متاؤس على الجهاد في تعميق الحياة مع اللّه وإتمام وصاياه، وهذا يتطلب الاشتياق الزائد والمستمر للإتحاد به، فيقول قدسه: "فعلينا أن نُعمق حياتنا وصلتنا بمنبع الحياة الرب يسوع وننمو في معرفته ومحبته متممين وصاياه **في اشتياق زائد ومستمر** للاتحاد به".

وعن فهم ودراية روحية يلفت أبونا القمص متاؤس أنظار المجاهدين الحقيقيين إلى أن الجهاد لا يتم في يوم وليلة أو سنوات قلائل، إنما يتطلب العمر كله، فيقول قدسه: "وحيث أن الرهبنة هى حياة التوبة هكذا يُجاهد الراهب في صلواته وعباداته وانسحاقه أمام اللّه"، ثم يستكمل فيقول: "وتكميل التوبة لا يتم في يوم وليلة أو سنوات قلائل إنما هو نتيجة العمر كله".

التدرج في الحياة الروحية

الحياة الروحية هي سلم يرتفع من الأرض إلى السماء، يصعد على درجاته المجاهدون حتى يصلوا إلى قمته، هناك يحظون بالحضرة الإلهية.

وقد حذر الآباء الروحيون أولادهم من خطورة القفزات الروحية في الجهاد الروحي، داعين إياهم للنمو الهادئ والتدرج فيه، حرصاً على سلامتهم وخلاص نفوسهم.

فإن كانت الحياة الطبيعية التي نحياها تُعلمنا ألا نُطعم الطفل الرضيع طعام البالغين، لئلا يتخم من الأكل ويموت، فالحياة الروحية أيضاً تُعلمنا أن نتدرج فيها حتى لا نهلك. فمن غير المقبول أن يقول أحد أنني أُريد أن أُطعمه هكذا لكي ما ينمو ويكبر سريعاً، لأنه سيُميته قبل أن يراه كبيراً. ولهذا كان الآباء الروحيون يحرصون على أولادهم من القفزات الروحية العالية ولا سيما المبتدئون منهم. وكان حرصهم عليهم يدفعهم إذا رأوا واحداً منهم صاعداً بهواه إلى أعلى يجذبونه إلى أسفل، خوفاً من سقوطه، لئلا يكون سقوطه عظيماً، لا ينفع فيه الدواء والعلاج، ويكون مآله الموت والهلاك.

وقد رأينا هذا الحرص وشعرنا به في حياة أبينا القمص متاؤس السرياني، الذي كان دائماً يعلم أولاده الروحيين ويدربهم على أهمية التدرج في حياتهم الروحية، بعيداً عن القفزات الروحية العالية. وكان دائماً يميل إلى السير باعتدال في الحياة الروحية، وله في ذلك مقولة، كان دائماً يُرددها بين أولاده الرهبان وهي: "الطريق الوسطى خلصت كثيرين بلا تعب". وظهر هذا الفكر الرهباني الآبائي، وهذا الحرص أيضاً في كتاباته التي خطها بيده.

ففي إحدى كتابات أبينا القمص متاؤس السرياني، يحذر فيها من التعجل والخروج إلى الوحدة قبل إتمام خدمة المجمع، فيقول: "**لا نستعجل** هكذا ونعمل

برعونة حتى لا يكون فيه خسارة لأنفسنا وشماتة لأعدائنا ورعب لزملائنا". ثم بعد ذلك يوضح أن الرهبنة درجات يصعد بها الراهب إلى الكمال، وبعدها يحذر من نتائج القفزات الروحية، فيقول قدسه: "فالرهبنة هي **درجات** يصعد بها الراهب إلى الكمال، أما إذا قفز من الدرجة الأولى إلى العاشرة فبالعدل يهبط إلى أسفل. ويلزمه الحق أن يصبر فتعينه النعمة مربيته ومرشدته الحقة التي احتملت وتحتمل تقلباته".

ويصف أبونا القمص متاؤس الذين يحبون الله ويعبدونه بأنهم ينموا في روحياتهم بهدوء دون قفزات سريعة ولا اعوجاج، فيقول قدسه: "أولاد اللّه الذين يحبونه ويعبدونه بالروح والحق ومن أجله يحتملون كل شيء بصبر ... فإن هؤلاء هم الذين **ينمون في روحياتهم نمواً طبيعياً هادئاً ليس في قفزات سريعة** ولا اعوجاج ولا اشتياقات ملتهبة سرعان ما تنطفئ".

ويقدم أبونا القمص متاؤس السرياني نصيحة لشخص متسرع وله أشواق روحية يريد أن يسمو ويرتفع إلى أعلى، فيقول له أبونا الحبيب: "وليس معنى هذا أن **نقفز في الطريق بعجلة ورعونة وغرور** حينما نتذوق قليلاً من حلاوة اللّه بل ينبغي أن تكون نعمة الإفراز مختلطة بتصرفاتنا على ضوء إرشاد الآباء المستنيرين باللّه".

واستكمالاً لهذا الموضوع ينبه أبونا القمص متاؤس إلى أهمية العمل القليل الدائم، مستخدماً قولاً لأحد القديسين وآخَر لمار إسحاق السرياني، ومعطياً تشبيهاً بليغاً لكي ما يقتنع الشخص، فيقول قدسه: "وهكذا ينطبق على هذا الإنسان (الراهب) المثل القائل: أن السلحفاة وصلت إلى قمة الجبل قبل الأرنب. قال أحد القديسين: إني أحب العمل الخفيف الدائم أكثر من عمل شديد في بدئه لا يلبث أن ينقطع سريعاً. وقال العظيم في العارفين: "العمل الدايم - ولو أنه قليل - كنوز عظيمة يُربي، لأجل دوامه".

الصبر والمثابرة

يبدو أنه يوجد تقارب بين كلمتي الصبر والمثابرة، ولكن بالفحص والتدقيق في الكلمتين، نجد أن هناك اختلافاً بينهما. فالصبر قد يُطلَّق على الأمراض والتجارب والأحزان والآلام، أي التي لا تقع تحت نطاق الإرادة الشخصية للإنسان، أو بمعنى آخَر التي لا يكون للإنسان دخل فيها، فالمرض إذا أصاب إنسان، نقول أن هذا الإنسان صبر على المرض.

أما المثابرة فهى تُطلق على كل شخص يحتمل تعب أو ألم بإرادته، ناتج عن قيامه بعمل روحي أو ممارسة فضيلة ما، أي التي تقع تحت نطاق الإرادة الشخصية للإنسان ذاته، فالصلاة والصوم والعطاء .. التي يحتمل فيها الإنسان أتعابها بإرادته الشخصية، نسمى مثل هذا بالمثابرة.

فسواء هذا أو ذاك فكلاهما من الفضائل الضرورية والهامة في الحياة الروحية العامة، والحياة الرهبانية بصفة خاصة. لأن كل فضيلة أو جهاد أو عمل يحتاج إلى الصبر، لهذا قال السيد المسيح: "بصبركُمُ اقتنُوا أنفُسكُم" (لو ٢١: ١٩).

إن حياة أبينا القمص متاؤس السرياني، داهمتها أمراض وتجارب وآلام كثيرة، ومع ذلك فإنه قابل جميعها بصبر وشكر عجيب.

ونلاحظ أن أبانا متاؤس أعطى لهذه الفضيلة اهتمام كبير، وكثيراً ما كان يوجه أولاده الرهبان في جلساته معهم، قائلاً لهم: "مشكلة هذا الجيل إنه عايز كل حاجة بسرعة، معندوش صبر" وإذا رأى أحد أولاده مندفع لجهاد روحي زائد كان يحثه على الصبر ويقول له: "اُصبر اُصبر شوية، كله يجيله وقته اُصبر"، وإذا تعرض أحد أولاده لتجربة ما، كان يعزيه ويشجعه على الصبر والاحتمال قائلاً له: "اُصبر كله يعدي" وهكذا يستمر معه بأسلوبه البسيط

المملوء حكمة، وتمر التجربة بسلام. أنه شابه في ذلك سيده المسيح، الذي قيل عنه: "لأنه في ما هُو قد تألَّمَ مُجرَّباً يقدرُ أن يُعين المُجرَّبين" (عب ٢: ١٨).

وقد تخللت كتابات أبينا القمص متاؤس السرياني العديد من الإشارات إلى فضيلة الصبر. ففي أثناء حديثه عن خلع الإنسان العتيق، لكي ما يصل الرهبان إلى حياة التجديد، أشار إلى أهمية فضيلة الصبر مدى الحياة للوصول إلى هذا الهدف، فيقول قدسه: "ولكي يصل الرهبان إلى حياة التجديد يلزمهم **الصبر الطويل مدى الحياة، فالصبر إذن من أهم الفضائل** للثبات والإثمار ونوال الحياة الأبدية".

وفي موضع آخَر يُشير إلى احتمال أولاد الله في عبادتهم بصبر، فيقول قدسه: "أولاد اللَّه الذين يحبونه ويعبدونه بالروح والحق ومن أجله **يحتملون كل شيء بصبر**".

ويعزي أبونا القمص متاؤس كل إنسان يصبر مداوماً في طلب الرب قائلاً: "وحينما يرى الرب **صبرنا ومداومتنا** على طلبه وقرع بابه حاشاه أن يصدنا. هو فقط يتأنى ويُطيل أناته كثيراً ليختبر مدى أمانتنا في محبته".

ويؤكد قدس أبينا القمص متاؤس على ضرورة التحلي بالصبر مع كل عمل وكل جهاد روحي، فيقول قدسه: " فكل عمل وكل جهاد إن لم يتكلل بالصبر يعتبر كلا شيء".

وينصح أبونا الحبيب بالصبر لإتمام خدمة المجمع قبل الخروج للوحدة، فيقول قدسه: "إن كنا لم نُتمم خدمة المجمع كما يجب فلنصبر حتى يأتي الأوان وذلك نشعر به في أنفسنا ويقتنع به عقلنا إذ لا يكون فيه انقسام أو شك البتة".

ويُشير أبونا القمص متاؤس إلى أهمية الصبر في احتمال التجارب والضيقات، فيقول قدسه: "فما أعظم نعمة الصبر على الضيقات واحتمال التجارب الآتية علينا من البشر والشياطين وآلام الإنسان العتيق".

ويرجع أبونا القمص متاؤس السرياني سبب انتصار القديسين في جهادهم ضد الخطية إلى فضيلة الصبر، فيقول قدسه: "ولعلنا نُدرك السبب في انتصار القديسين في جهادهم ضد الخطية في أنهم كانوا يمتازون بفضيلة مهمة جداً في طريق الجهاد الروحي وهى فضيلة الصبر".

ويعطي أبونا الحبيب القمص متاؤس توجيه بالصبر لكل من يُجاهد طالباً مواهب الله، فيقول قدسه: "ولا يتأتى ذلك إلا بنعمة خاصة وهبة من اللّه بعد الثبات في الطريق مدة حسب افتقاد النعمة. **فصبراً صبراً طويلاً أيها المجاهد**".

وفي موضع آخَر لنفس هذا السبب، يقول قدس أبينا الحبيب: "**فلنصبر إذاً وننتظر طويلاً** ولنجاهد بتؤدة وتعقل وحكمة حتى ولو لم نعطى مواهب في هذا الدهر لأننا للمسيح فقط طالبين وليس لمواهبه".

ونختم هذا الموضوع بنصيحة ذهبية لأبينا القمص متاؤس السرياني يقدمها لكل مُجاهد يسعى في طريق الرب، فيقول قدسه: "ومما يعيق النمو الروحي في هذه الأيام هو تسرع الراهب العابد الذي يريد أن يجنى الثمرة قبل أن تنضج وأن يحصد قبل أن يزرع بكد وتعب. **إذن فلنصبر ونشكر اللّه على كل شيء** ما دمنا سائرين في الطريق حتى ولو لم نأخذ شيئاً من عطاياه الروحية هنا ولكنه تعالى أمين وعادل فيعطينا هناك في المجد وهذا أفضل بكثير".

أفكار رهبانية أخرى

شملت حياة وكتابات أبينا القمص متاؤس السرياني، العديد من الإشارات إلى الكثير من المبادئ الرهبانية الآبائية، يعوزنا الوقت والجهد لتتبعها واحدة واحدة. لذا اكتفينا بما قمنا به في هذا البحث، على أن نُشير في عجالة إلى بعض الأفكار الرهبانية الأخرى التي عاشها أبونا الحبيب وعلَّمها لأولاده الرهبان وسجلها في تأملاته وأقواله التي خطها بيده.

(١) الشكر وعدم التذمر

عاش أبونا الحبيب القمص متاؤس السرياني أكثر من ثلاثين عاماً يُعاني من أمراض مختلفة، شملت هذه المدة اثني عشر عاماً كان فيها طريح الفراش، لم يره أحد قط في أثنائها متضايقاً أو متذمراً أو حتى متأففاً من الآلام الشديدة الواقعة عليه من شدة المرض.

دعني أصف لك، قارئي العزيز عن ما كنا نراه من سلام إلهي عجيب والذي كان يرتسم على محياه الملائكي، وصوته العذب الذي يطن في أذاننا شكراً لله، وقتما كان يسأله أي أحد عن حالته الصحية، فقد كان يردد دائماً عبارة "**نشكر اللَّه**"، وقد كنتُ عند سماع هذه العبارة من فمه الطاهر أشعر وكأنها حبات بخور عطر تحترق ويرتفع بخورها إلى عنان السماء أمام العرش الإلهي، فيتنسمها الله رائحة رضى من أبينا القمص متاؤس عن العالم أجمع.

أضف إلى ذلك كلمات الشكر التي كان يُرددها أبونا الحبيب عندما يأتيه راهب بشيء ما كان يحتاجه، فكان يقول: "**نشكر اللَّه لم يعوزنا شيء أبداً**".

هذا الشكر وعدم التذمر ما هو إلا ثمر سنوات الشباب التي جاهد فيها أبونا الحبيب جهاداً عنيفاً، فأخرجت مثل هذه الثمار في شيخوخته.

وتكشف لنا كتابات أبونا القمص متاؤس عن هذا الموضوع، حيث يظهر مدى شناعة وجسامة خطية التذمر وعدم الشكر أمام الله، فيقول قدسه: **"إن الرب يحمل خطايا البشر ولكنه لا يحتمل إنساناً يتذمر. فالتذمر معناه عدم الرضى بما قسمه اللّه من نصيب لكل واحد وأيضاً المتذمر يُعتبر معارضاً للّه في مشيئته وغير خاضع لإرادته تعالى. وكأنه يُريد أن يُشارك اللّه في تدبيره"**.

لذا يقول في موضع آخَر: "**إذن فلنصبر ونشكر اللّه على كل شيء**" ويقول أيضاً: " **أن اللّه لا يطلب منا سوى الشكر مع الرضى**".

(٢) البساطة

فبالرغم من منظره المهيب الذي يطفو على محياه الوقور وشيخوخته الصالحة إلا أنه عندما تتعامل معه عن قرب تشعر أنك أمام طفل بريء بسيط لا يسعك إلا أن تحبه وتقدره في آن واحد.

والبساطة هى من السمات الأساسية التي تميز بها أبونا متاؤس سواء في كلامه وأسلوبه أو تصرفاته وسلوكياته. كانت البساطة تُميز مظهره دون إقلال من شأنه وكانت البساطة أيضاً هى العنوان الصامت لقلايته أما كلامه البسيط فهو مما يخفي وراءه الأغوار العميقة تسأله سؤالاً فيرد بما يكفي في إيجاز عميق وأسلوب دقيق مما يشبع كل استفسار ويطرد كل تشكك أو التباس.

ويرى أبونا القمص متاؤس في أقواله أن البساطة أحد الأساسيات في الحياة الرهبانية فيقول قدسه: "الرهبنة بُنيت على البساطة والإيمان يُغذيها والرجاء يُقويها والمحبة تُشددها".

وفي إحدى تأملات أبينا الحبيب يُشير إلى البسطاء هم الذين لهم استحقاق مناظر الروح فيقول قدسه: "ففي النفوس البسيطة البريئة ... لهؤلاء اطمئنان أن لا يخافوا. نعم ولهم أيضاً استحقاق مناظر الروح لأن سر اللّه لخائفيه".

وفي موضع آخَر يُشير أبينا القمص متاؤس إلى أهمية البساطة لتفادي الضربات اليمينية، فيقول قدسه: "ليحمينا الرب من الضربات اليمينية فطريق البساطة مضمون".

ويمتدح أبونا الحبيب البسطاء، فيقول: "البسطاء هم أسرع الناس إلى قبول كلمة اللّه بإيمان وبساطة وبدون فحص لذلك سهل خلاصهم وخدمتهم ميسورة بدون تعقيد في الأمور".

وفي موضع آخَر كتب فيه: "فأعطنا بنعمتك أن نحيا أمامك في براءة الطفولة وبساطة الصيادين علّنا نؤهل أن نرتمي في الأحضان الأبوية التي لمحبتك الفائقة".

(٣) حياة التسليم

عاش أبونا القمص متاؤس حياة التسليم الكامل بإيمان قوي باللّه، فلم تكن أي أحداث تدور حوله حتى ولو بدت خطيرة، أن تُزعزع حياة التسليم التي يحياها، إذ كان في قلبه ثقة كبيرة ووثيقة أنه في يد اللّه الذي يُدبر الأمور كلها. لذا كان قدسه يُردد عبارات بسيطة تكشف عن هذا الإيمان مثل: "لتكن مشيئتك"، "كل اللي يجيبه ربنا خير وبركة"، "كل الأشياء تعمل معاً للخير".

وعندما كان يعرض عليه أي موضوع ما سواء روحياً أو غير روحي، كان يُقدم النصيحة في أبوة ثم يختم كلامه بقوله لصاحب الموضوع "صلِّ ولتكن مشيئة اللَّه".

وأظهرت بوضوح كتابات أبونا الحبيب عن مدى عمق هذه الفضيلة وتغلغلها في حياته، فكتب في كلمات غاية في الروعة معبرة بصدق عن حياة التسليم التي يحياها يطلب فيها من الله قائلاً: "يارب لنا خزي الوجوه ولك أنت كثرة الرحمة. فليتنا نستهين بهذه الحياة الفانية، وهذا الجسد البالي، ونقول له: نفسي بين يديك كل حين افعل بي ما تُريد لتكن مشيئتك. أترسلني للذبح؟ أم للسجن؟ أم للحريق؟ أم للعذاب؟ أنا طوع بنانك يا ربي يا من اشتريتني بدمك الزكي الثمين".

وفي موضوع آخَر يقول قدسه: "**للرب أُسلم المشيئة ليُسيرني في طريق آبائي** الذين أحبهم لعلي أُقدم لإلهي توبة صادقة وأكون مقبولاً عنده".

وفي ثقة وإيمان بالله يقول أبونا الحبيب: "إذاً فلنُسلم له حياتنا بإيمان وثقة واتكال ونطرح أمامه أشواق قلوبنا فهو تعالى يرى المكان والزمان اللائقين حيث يُعطي ولا يُعير".

ويرى أبونا القمص متاؤس أن عمل الروح القدس في الداخل لا يكون إلا بالتسليم الكلي له، فيقول: "لا يتم ذلك إلا بالتسليم الكُلي لإلهي الذي يعرفني وأعرفه جيداً أكثر من الآخرين".

(٤) المحبة

إن محبة الله كانت لهيب نار يشتعل كلظى في قلب أبينا القمص متاؤس السرياني، فأحرقت منه كل محبة عالمية، وكل رابطة عاطفية مع أسرته،

ودفعته بقوة إلى الحياة الرهبانية، على الرغم من صغر سنه الذي لم يتجاوز الحادي والعشرون عاماً. استمرت هذه المحبة تنمو في قلب أبينا الحبيب في أيام شبابه وهو بالدير إلى أن داهمته الأمراض الكثيرة، وكانت جهاداته الروحية من صلاة ونسك وحب ... دليل قوي على محبته لله.

أما من جهة محبة أبينا متاؤس لأولاده الرهبان، فالجميع تلامسوا مع أبوته المملوءة حباً. لذا أرى أنه من العسير عليَّ سرد الأحداث والمواقف التي حدثت مع الكثيرين وأظهرت اهتمامه بكل أحد، ومشاركته بكل جوارحه سواء بالصلاة أو الإرشاد والنصح لمن يجوز منهم بضيقة أو تجربة ما. وكثيراً ما كان يحض أبونا الحبيب في جلساته الروحية، أولاده الرهبان على فضيلة المحبة. فكثراً ما كان يقول لهم: "وأعظمهن المحبة". وفي بعض الأحيان كان يداعبه أولاده قائلين له: "وأعظمهن إيه يا أبونا متاؤس؟" فيُجيب قائلاً: "المحبة".

فلست مبالغاً إن قلت أن المحبة تجسدت في شخص أبينا الحبيب القمص متاؤس.

وأشار إليها أيضاً في كثير من أقواله وتأملاته التي خطها بيده. فقال قدسه عنها: "أما عن المحبة التي هى درجة الكمال فليس حب أعظم من هذا أن يضع الإنسان نفسه عن أحبائه، وهكذا أحب اللَّه العالم حتى بذل ابنه الوحيد فالمحبة هى اللَّه".

وكتب قدسه لمن يحاول التمثل والتشبه فقط بأعمال وجهادات الآباء الأوائل أمثال القديس الأنبا أنطونيوس والأنبا بولا أول السواح وغيرهم، بأن المحبة هى كانت مقصدهم وهدفهم في حياتهم. ثم كتب عن عظمة هذه الفضيلة، فقال: "وكثيراً ما نفتر نحن في أنفسنا ونحاول التمثل والتشبه بهم وبأعمالهم ليس إلاَّ! ونسينا بل تناسينا أن أُولئك الأبطال الجبابرة في حرب الأعداء الخفية كان

مقصدهم وهدفهم وغرضهم الأسمى في حياتهم هو (المحبة). المحبة ما أعمقها وإن كانت صغيرة في حروفها إلا أنها هى الحياة بجملتها، التي لا يستطيع كُتَّاب وعلماء العالم أجمع حتى والروحانيون أيضاً أن يحصروها في عقولهم أو أن يسطروها بأقلامهم. فالمحبة هى: (اللَّه) ومَن يقدر أن يحد اللَّه أو أن يتكلم عن اللَّه لأن (اللَّه محبة).

هؤلاء احترقت قلوبهم بالمحبة واشتعلت نفوسهم بمحبة يسوع فالتهبوا في أعمالهم".

وفي تأمل آخَر لأبينا القمص متاؤس عن قول الكتاب: "من أحب أباً أو أُمّاً أكثر مني فلا يستحقُّني" (مت ١٠: ٣٧ - ٣٩). يعبر عن سمو محبته للّه التي كانت أقوى بكثير من محبته لأسرته، فتركها وذهب إلى الدير ليترهب، فقال: "على هذا الأساس تكونت الرهبنة. فهى حب سامي تبدأ بالمخافة وتكمل بالحب حب المسيح الذي أحبني يقوى ويتغلب على حب أبي وأمي وأخي وأختي والجميع. فهؤلاء وإن كنت أحبهم في شخص المسيح ولكن ليس كمحبتي له فمحبته هو تسمو على الكل من القلب وبكل القدرة والفهم والتفكير"

لذا يستند أبونا الحبيب إلى المحبة كفضيلة هامة تُشدد الرهبنة، فيقول: "الرهبنة بُنيت على البساطة والإيمان يُغذيها والرجاء يُقويها والمحبة تُشددها ".

(٥) احتمال الظلم والمحقَرة

الاحتمال هو أحد الفضائل الرهبانية، فاحتمال الآلام والضيقات والأمراض أمر طبيعي، واحتمال الجهادات الروحية والنسكية من أجل محبة اللّه واقتناء

الفضائل شيء ممدوح ومطوَّب، أم أن يحتمل الإنسان الظلم والمحقرة والإهانة فهذا أمر يُثير الاستفهام والتعجب.

هذا النوع من الاحتمال هو أحد الفضائل الرهبانية التي تُنافس الآباء الرهبان في اقتنائها، بل هى علامة على الإماتة الحقيقية للذات عند الراهب، والتي عندها يتساوى فيها المديح والكرامة مع المحقرة والإهانة، لأنه كشخص ماتت ذاته لا يشعر بمديح أو إهانة.

وكان أبونا القمص متاؤس يحث أولاده على هذه الفضيلة. ففي جلساته الروحية مع أولاده الرهبان كان يُكرر قول البستان: "كن مظلوماً لا ظالماً، كن مطروداً لا طارداً". وفي جلسات الاعتراف حينما كان يشكو المعترف من ظلم وقع عليه أو ازدراء ألَّم به من أخيه في الدير ويظهر له امتعاضه مما حدث له. كان أبونا متاؤس يعنفه بأبوة على عدم احتماله، قائلاً له: "يا بخت اللي يكون مظلوم" "كن مظلوماً لا ظالماً مش دا قول البستان". وإذا ما أتاه أحد بخبر عن إهانة موجهة للرهبان كان يقول: "إحنا نطلب ذمهم فينا أكثر من مديحهم لنا" وبهذا كان يُعلم أولاده تلك الفضيلة الرهبانية.

لذا نجده يكتب عن هذه الفضيلة قائلاً: "الراهب الذي يسعى في طلب اللَّه بجد واجتهاد واستقامة قلب. عليه أن يحتمل الظلم والمعيرة والازدراء والاحتقار والإهانة. وبالإجمال كل ما أصاب ربنا على الصليب ليس من الخارجين عن الإيمان فقط بل ربما من الأحباء أيضاً، أما إذا قَبِل الكرامة والتمجيد وطلب التقدم والترأس أو تذمر على ما يُلاقيه من ضيق فليعلم إن تعب جهاده باطل".

(٦) عدم الخلطة بالعلمانيين

البعد عن العلمانيين وعدم الخلطة بهم، من السلوكيات الهامة والأساسية في الحياة الرهبانية، لأنها بُنيت على الموت عن العالم، ولن يتأتى هذا الموت إلا بالبعد عن من لهم صلة بالحياة العلمانية، حرصاً لئلا تتسبب العلاقة معهم في إدخال الحياة العالمية إلى الحياة الرهبانية.

ومن الخطأ أن يظن البعض أن بُعد الراهب عن الخلطة بالعلمانيين، يرجع إلى أنهم أنجاس. حاشا أن يكون هذا ولكن الرهبان اختاروا لهم طريقاً آخَر يختلف عن طرق أهل العالم.

وفي دير السريان عاش أبونا القمص متاؤس بعيداً كل البعد عن الخلطة بالعلمانيين، ولم تكن له أية صلة بأحد إطلاقاً إلا بالأطباء الذين كانوا يقومون بعلاجه، وكان مرضه هو السبب في هذه العلاقة. ومن حرصه على هذا كان ينبه على أولاده الرهبان الابتعاد عن مقابلة العلمانيين إلا في حدود ضيقة جداً كالأهل فقط، محذراً إياهم من مخاطر هذه الخلطة، وإذا علم أن أحداً منهم يُكثر من تواجده مع العلمانيين كان يُعَنفه بشدة حتى يرجع عن هذا السلوك.

وفي كتابات أبينا القمص متاؤس أشار على الاعتزال عن البشر كأحد الشروط التي تجعل الصلاة قوية وفعالة فيقول قدسه: "تكون الصلاة مثمرة وقوية وفعالة ومقبولة حينما نعتزل عن البشر والأمور المادية والاهتمامات العالمية".

ويُشير أيضاً في موضع آخَر إلى القديسين وإلى بعدهم عن الناس وجعلهم مُثُل عليا في الصمت والسكون، فيقول قدسه: "وهم مُثُل عُليا في صمتهم وسكونهم إذا كانوا بعيدين عن الناس".

(٧) الصلاة

الصلاة هى عمل الراهب، وقد تبارى الآباء الرهبان فيها، حتى بلغوا إلى درجات عالية. كالهذيذ والدهش والالتصاق بالله. وكان أبونا متاؤس أحد هؤلاء الذين عاشوا حياة الصلاة، وصارت تأخذ حيزاً كبيراً في حياته الرهبانية. ولعل ما ساعده على هذا، طبيعة الحياة الديرية في ذاك الوقت، كابتعاد الأديرة عن العمران، والهدوء الذي كان يسود الدير، إلى جانب عدم وصول الكهرباء إلى الأديرة مما أتاح له وقتاً أكبر للاختلاء والصلاة بدلاً من القراءة.

وقد امتزجت الصلاة بحياة أبينا القمص متاؤس، فكان في بساطة وحب وتلقائية عجيبة، لا يكف لسانه عن الصلوات السهمية. فأثناء ذهابه وإيابه كان يُردد هذه الصلاة: "يارب ارحم، يارب خلص، يارب نج، يا بركة العذراء والقديسين" وكان يُكرر هذه الصلاة مئات المرات في اليوم الواحد دون ملل أو كلل. وإذا قُدم له أو للغير أي مشروب أو أي نوع آخَر كان يرشم عليه علامة الصليب وهو يقول: "بارك يا سيدي يسوع المسيح ابن اللّه الحي، عوض يارب كل من له تعب". فأمامنا مواقف وأحداث كثيرة لا يسعنا الوقت والمكان لسردها جميعاً.

وشملت كتابات أبينا القمص متاؤس العديد من الأقوال والتأملات عن الصلاة، فكتب عن أهمية طهارة القلب لكي تكون الصلاة طاهرة ومقبولة أمام الله، يقول قدسه: "إذا ما صلينا من قلب طاهر كانت صلاتنا ذبيحة وبخوراً طاهراً صاعداً لدى عزته الإلهية. أما إذا اختلجت الصلاة بأفكار غير إلهية إنما بذلك نكون قد قدمنا ذبائح غير طاهرة (نجسة) على مذبح اللّه".

وفي موضع آخَر يذكر شروط الصلاة المقبولة، فيقول: "شرط الصلاة المقبولة والدالة القوية أمام اللّه هى في طهارة النفس من آلام الإنسان العتيق ونقاوة القلب من أدران الخطية ليكون الإنسان هيكلاً للّه".

وفي عمق وروحانية ناتجة عن خبرة عملية معاشة، يقول أبينا الحبيب: "ربنا يسوع المسيح مضى إلى جبل الزيتون، ليُكمل جهاده الروحي مع الآب بالصلاة. فالصلاة هى ابتداء وتكميل العمل. فلا تطلب عزاءً موضوعاً خارجاً عن القلب".

وبعد أن ذكر أبونا القمص متاؤس في تأملاته عن رجال اللّه التي كانت حياتهم عبارة عن صلة دائمة ومستمرة بإلههم، فمنه يستمدون المعونة ويأخذون القوة، يقول قدسه: "فكم بالحري الرهبان الذين تخصصوا لهذا العمل الداخلي العميق؟ وكيف ترتفع نفوسهم وتتحرر من كثافة الجسد وتنطلق مع المسيح فتكون معه دائماً؟!".

وفي موضع آخَر يُشير أبونا متاؤس إلى قوة صلوات القديسين قاطني البرية، فيقول: "وإن وصلت إلى أُذنيك من المدينة جَلَبَة وصياح الشياطين، فلا تخف ولا تضطرب. فقبل أن تصل إلى السماء، يطغي عليها صوت من الصحراء، هو صلوات القديسين وأنّاتهم".

ويظهر لنا أبونا القمص متاؤس، أهمية الصلاة الدائمة وترديد اسم يسوع، لكي يشعر الراهب دائماً بوجوده في الحضرة الإلهية، فيقول قدسه: "ما أحوج الراهب أن يكون لديه شعور وإحساس داخلي عميق بحضور الرب الثابت معه يجري حديثه معه سراً ولا رقيب فأينما كان يجعل قلبه معملاً لا يهدأ ولا يفتر عن ترديد الاسم المحبوب وطلب رحمته ومعونته والتأمل في إحساناته الكثيرة وأعماله العديدة حتى يشمل الحياة بكليتها ويكون الرب هو الكل في الكل".

(٨) الحياة بلا هم

الحياة بلا هم هى إحدى مظاهر الحياة الرهبانية، فالراهب الذي يقطن البرية ليس له هم سوى حرصه الشديد ألا يجعل أي شيء يفصله عن الله.

فالراهب بما أنه يعيش حياة البتولية كركن أساسي في حياته الرهبانية، لذا فهو يعيش بلا هم لأنه يهتم فقط فيما للرب. فهو ليس له زوجة وأولاد مسئول عن رعايتهم والاهتمام بمعيشتهم وغيرها من التزامات الحياة العامة التي تثقل كاهل كل صاحب أسرة. وما يجعل الراهب يحيا بلا هم هو تحرره من امتلاك أي شيء من الممتلكات، التي إذا تملك أحد منها شيئاً جعلته قلقاً على ضياعها أو سرقتها. كما من شانها أيضاً أن تخلق في داخله شغفاً على زيادتها.

ولأن الراهب يحيا حياة التسليم الكامل لله، لذا فهو يحيا بلا هم. لا يرهبه الموت أو المرض ولا يقلقه العوز للطعام والشراب واللباس، لأن عنده ثقة في الله الذي يعوله كطيور السماء التي لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن ويَقُوتُها الأب السماوي (مت ٦: ٢٦).

حقاً ما أجمل حياة الرهبنة هذه الخالية من أي هموم، هذه الحياة التي أحبها أبونا الحبيب القمص متاؤس السرياني وعشقها، ونقل مشاعره هذه إلى أولاده الرهبان بقوله لهم دائماً: "حياة الرهبنة حياة حلوة، حياة بلا هم".

لقد عاش أبونا متاؤس كل حياته الرهبانية بلا هم، لم يقلق أبداً من مرض أصابه، أو لنقص في الدواء، أو لأي شيء آخَر. لهذا ارتسمت سمات هذه الحياة على وجهه، فصار وجهه كوجه ملاك، وتشكلت حياته بهذه الحياة فأصبح كطائر هائم في السماوات يسبح الخالق بلا فتور.

ونجد أيضاً تأثر أبينا القمص متاؤس بهذه الحياة، واضحاً جداً في أقواله وكتاباته. ففي إحدى تأملاته يُشير إلى أهمية أن يترك الراهب كل شيء حتى يعيش بلا هم، فيقول قدسه: "يترك الذي يُريد الرهبنة كل شيء من أجل أن يحيا بلا هم".

وفي موضع آخَر، يرجع أبونا الحبيب نجاح وانتصار آبائنا الأوائل في حياتهم الروحية إلى أنهم لم يجعلوا أي هم يعوقهم في الوصول إلى الله، فيقول قدسه: "ذلك أنهم تركوا كل شيء وتبعوه بقلوبهم ولم يرتبكوا بأعمال هذه الحياة **ولم يجعلوا أي هَمْ يعوقهم** في الوصول إليه".

كما أنه يرجع استحقاق مناظر الروح إلى الحياة الخالية من هم هذه الحياة، فيقول قدسه: "ففي النفوس البسيطة البريئة الخالية من هَم هذه الحياة الفانية، وللذين لا شهوة لهم في العالم ولا تعظم معيشة، نعم للمساكين بالروح لهؤلاء اطمئنان أن لا يخافوا. نعم ولهم أيضاً استحقاق مناظر الروح لأن سر اللّه لخائفيه".

من تعاليم القمص متاؤس السرياني للمبتدئين [1]

- الذي سار في طريق الرهبنة، لا يعود ينظر إلى الوراء ويشتهي قدور اللحم في مصر.
- الذي ترك العالم ليترهب، هو أسعد إنسان لأنه يحيا بلا هم.
- احذر الوقيعة بين الرهبان، فهى نار تحرق الدير.
- ابعد كل البعد عن جلسات النميمة والإدانة.
- لا تتدخل في سياسة الدير فهى تطفئ الروح المشتعل فيك، فتجعلك تتشتت في صلاتك وقراءاتك في الكتاب المقدس.
- لا تدن أحد البتة، ولا تكن لك نظرة فاحصة.
- عامل الكل بمحبة واتضاع.
- انحني وقَبِّل يد كل أحد ولا سيما الكبار.
- أطع المسئول واخضع له في كل شيء.
- اقرأ بستان الرهبان بعد قراءة الإنجيل يومياً، حتى تتشبع بروح الآباء القدامى وتعاليمهم.
- اجعل كل أحد يُباركك.
- كن صغيراً بين إخوتك مهما كان لك من علم أو معرفة.
- لا تكن متقدماً في كلامك بين الجماعة، فالإنصات أفضل من التكلم.

---

[1] عن عظة أُلقيت بمناسبة قبول إخوة جدد في الدير.

- كن محباً للجميع، فالمحبة لا تسقط أبداً.
- كن متضعاً، واعتبر نفسك آخِر الكل وأضعفهم.
- لا تُجالس من يشكك في الطريق الرهباني، فالشيطان يتكلم على لسانه لكي يزرع الخوف في قلبك، وترجع عن الطريق الرهباني.
- الراهب المحب والمتضع، الذي يقبل كل شيء بشكر، طريق الرهبنة حلو له. أما من يمشي بتشامخ، يصبح صعباً له.
- احتمال الإهانة، علامة على نجاح الراهب.
- لا تحب مَنْ يمدحك وتغضب ممَنْ يذمك ويحتقرك، فالرهبنة ليست كرامة ومديح.
- لتكن سيرة الآباء حلوة في فمك.
- جاهد ألا تُحزن أحداً، وإن حدث ذلك، فآتِ بالملامة على نفسك، واعتبر أنه حزن بتصرفك الخاطئ له، وقم عاجلاً واذهب إليه لتأخذ رضاه، بعمل ميطانية له طالباً منه الحِل والمسامحة.
- إن مرت بك أمور متعبة وضايقتك، فلا تحد عن المبادئ الرهبانية إطلاقاً حتى تمر الضيقة بسلام.
- لا تُنادي على أحد بصوت عال في أزقة الدير، بل اذهب إليه وكلمه، كما قال الآباء: مشي هين وصوت لين.
- كن مُدققاً في حياتك الرهبانية، فمن شأن هذا أن يُعطيك الفرح والعزاء الداخلي.
- احرص كل الحرص ألا تتهاون في استكمال قانونك الرهباني، فاليوم الذي لا تستكمل فيه قانونك الرهباني، عدة خطية ينبغي أن تعترف بها أمام أب اعترافك.

❖ احفظ المزامير فهذا يُساعدك على ترديدها في كل وقت.

❖ لا تتوانى عن حضور تسبحة نصف الليل وجَرس المجمع بانتظام.

❖ لا تُسلم على أحد في الكنيسة وأنت جالس.

❖ لا تتحدث مع أحد في الكنيسة، ولا تخرج منها إلا لأمر ضروري.

❖ إذا رأيت من هو أكبر منك يسير أمامك، فلا تتخطاه بل امشِ خلفه.

❖ إذا رأيت من هو أكبر منك قادم لدخول الكنيسة، فقف مكانك حتى يدخل هو أولاً.

❖ قُلْ بتواضع ووداعة لكل أحد "نعم، حاضر أخطيت"، ليس عن ضعف، إنما من أجل المسيح الذي أحببته، ولكي تحفظ وصية المسيح التي تؤهلك للحياة الأبدية.

❖ لا يكن الغرض من دخولك الرهبنة هو الهروب من العالم ومن ضيق المعيشة، إنما هو لأجل الجهاد والعمل للحياة الأبدية. فمن هنا تأخذ العربون.

❖ ثق أيها الأخ أنك اليوم قدمت نفسك وجسدك على مذبح الحب الإلهي، كما فعل إبراهيم مع ابنه إسحاق.

❖ اعلم أن أمجاد الرهبنة التي تسعى في طريقها، أعظم بكثير من أمجاد العالم.

❖ لا تسعى لأخذ حقك، ولا أن تكون الأول، فالسجس والاضطراب يلتصقان بهما.

❖ إذا أتتك إهانة أو شتيمة من أحد فاقبلها بفرح، ولا ترد بمثلها، فالسيد المسيح شُتِمَ ولم يشتم عوضاً.

❖ اعلم أن الرهبنة دعوة إلهية، افرح بها فهي بركة من الرب لك، لكي يعدك مع القديسين العظماء الذين شقوا هذا الطريق.

❖ اليوم الذي لا تحصل لك فيه إهانة، لا تحسبه من عداد أيامك.

- إسع مفتشاً على الباب الضيق في حياتك الرهبانية، واحذر دائماً من الدخول من الباب الواسع لئلا تهلك بتهاونك.
- الرهبنة هى طريق التوبة.
- ابتعد عن الضحك والمزاح، فهى أمور بعيدة عن الرهبنة.
- ابدأ حياتك الرهبانية بداية حسنة وقوية، لكي تصل إلى نهاية سعيدة تُعزيك هنا في الجسد وفي الأبدية أيضاً.
- كن محتملاً صبوراً على الكل، لكي تأخذ أجرك من الله. فحامل الأموات يأخذ أجرته من الناس، وحامل الأحياء يأخذ أجرته من الله.
- لا تكن مقاتلاً باللسان، فالغلبة لا تكن باللسان، بل بالمحبة والاتضاع واحتمال الغير.
- من الآن ابعد كل البعد عن أسلوب العالم، من فهلوة وشطارة ولف ودوران في معاملاتك داخل الدير. فهذا أسلوب مرفوض لا يتبع الحياة المسيحية.
- اعلم أن الراهب هو أسعد إنسان، وإذا لم يكن أسعد إنسان فهو أتعس إنسان، لأنه لم يعرف أن يستثمر البركة التي أعطاها له الله.
- لا تهمل قراءة الكتاب المقدس، لأنه صلاة.
- اكشف نفسك على حقيقتها أمام أب الاعتراف، حتى لا يصبح للعدو مكاناً فيك ويتعب نفسك.
- اكشف لأب اعترافك كل فكر داخل نفسك، لكي لا تجعل للعدو فرصة واحدة فيك.
- لا تتوانى عن الذهاب لأب اعترافك إذا أتاك فكر أو إشكال ما في الطريق الرهباني، حتى تكون نفسك في راحة دائمة.
- اذهب باستمرار للتناول من جسد الرب ودمه، فهو يُعطيك القوة في حياتك.

- لتكن المحبة هى الأساس الذي تبني عليه حياتك داخل الدير، فالذي لا يُحب أخاه الذي يراه، فكيف يُحب الله الذي لا يراه.
- كن مُحباً لإخوتك متواضعاً معهم، لأن هذا يكون علامة محبتك لله.
- ليكن جلوسك مع مَنْ يتحدث معك في الكتاب المقدس وسيَّر القديسين.
- تجنب السير مع مَنْ يبث فيك روح اليأس، وكن صديقاً لمن تنتعش معه روحياً.
- لا تخف من التجارب والضيقات في الحياة الرهبانية، فالله في رحمته لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون، بل يرسل مع التجربة المنفذ.
- التجارب التي تمر بها في حياتك هى اختبارات من الله، يختبر فيها أصالة معدنك، إن كان مبنياً على الصخر، والصخر هو محبة المسيح، أم مبنياً على الأرض، وهو كل ما هو عالمي.
- اكشف كل تدابيرك لأب اعترافك، فكل تدبير تعمله بدون علمه، تعمله للشيطان.
- ليكن كلامك مع أخيك بقلب صافٍ ونية نقية، فإن ذلك علامة على استقامة قلبك، وهذا ما يحبه المسيح.
- جدد كل يوم، الدفعة التي أتيت بها من العالم وأشواقك الروحية، كقول الأنبا أنطونيوس: "جدد عهد رهبانيتك كل يوم".
- اشعل أشواق قلبك دائماً، ولا تجعل أي شكوك تهزك أبداً، لا من الداخل ولا من الشيطان.
- اجعل أشواقك الروحية مشتعلة دائماً، لكي ما يكون جهادك مستمراً.
- لا تتخلف عن حضور القداس والتناول يوم الأحد مع مجمع الدير.
- لا تكشف لأحد إطلاقاً تدبيرك الرهباني، حتى ولو كان صديقاً لك.

صلاة...

يا آبا الآب، في شخص المحبوب يسوع نطلب ونضرع دائماً

لا تنسَ جبلتك التي خلقتها يداك. أنت تعرف مقدار ضعف طبيعتنا،

وكم نحن محتاجون كل حين إلى معونتك،

وإن لم تكن أو لم تكمل فينا دالة البنوة لاسمك العظيم

فأعطنا بتجديد نعمة روحك القدوس في دواخلنا،

لكي ما نسمو ونرتفع عن الماديات،

وتكون نفوسنا دائماً في حضرتك.

نفوسنا ظمأى ولم يستطع العالم بكل مبهجاته وأفراحه أن يرويها

أو يشبعها، ولكن فرحها وراحتها وطمأنينتها فيك أيها الساكن

في السماء والناظر إلى المتواضعات.

القمص متاؤس السرياني

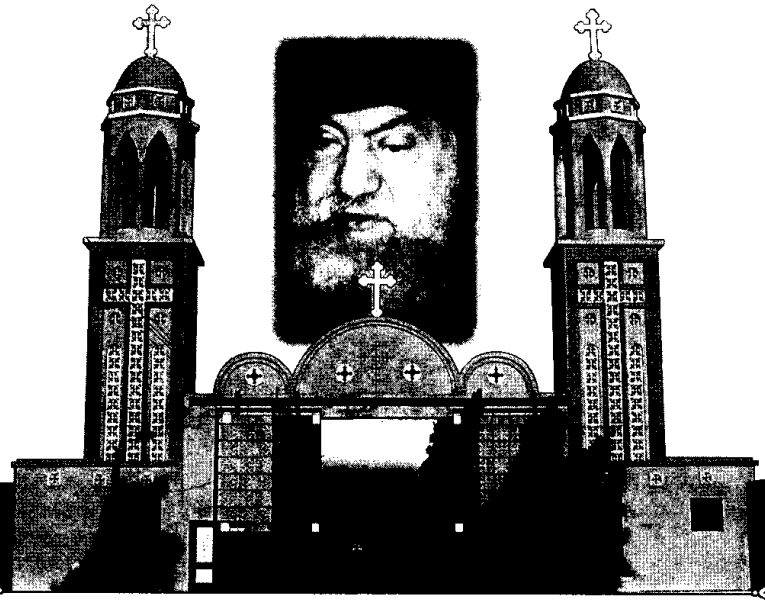

كتب للمؤلف

١- سفر الرؤيا مع مردات أبوغالمسيس.

٢- دليل الطقوس الكنسية على مدار السنة التوتية.

٣- بستان الفضيلة.

٤- زهور وثمار في البراري والقفار.

٥- سيرة راهب معاصر (القس أوغريس السرياني).

٦- راهب ناسك (القمص أرمانيوس السرياني).

٧- راهب مثالي (القمص سمعان السرياني).

٨- ملاك من السماء (القمص أنجيلوس السرياني).

٩- المعاني الروحية في طقس القداس الإلهي.

١٠- روحانية اللحن القبطي في القداس الباسيلي.

١١- آلام أيوب الصديق كرمز لآلام السيد المسيح.

١٢- شخصيات كتابية ترمز للسيد المسيح.

١٣- العمق الروحي في لحن "بيك إثرونوس"

١٤- سيرة المتنيح الأنبا ثاؤفيلس (١٩٠٨م - ١٩٨٩م)

١٥- القداس الإلهي رحلة إلى حفل عشاء عُرس الخروف.

١٦- بركات الحياة الرهبانية.

١٧- الطريق إلى الله.

١٨- كوكب برية شيهيت (أبونا الحبيب القمص فلتاؤس السرياني سيرته - معجزاته).

١٩- صاحب المتكأ الأخير (الراهب يوسف السرياني).

٢٠- عاشق البرية (الراهب القمص بيمن السرياني).

٢١- الفكر الرهباني الآبائي في حياة وكتابات القمص متاؤس السرياني.

صدر DVD تسليم طقس القداس الإلهي يشمل:

١ـ تسليم طقس القداس الإلهي.

٢ـ تسليم لحن القداس الإلهي.

٣ـ روحانية اللحن القبطي في القداس الباسيلي.

٤ـ القداس الإلهي بثلاث لغات: قبطي / عربي / إنجليزي.

فهرست الكتاب

المحتوى	صفحة
تقديم نيافة الأنبا متاؤس	٩
مقدمة المؤلف	١١
الفصل الأول:	١٣
سيرة الراهب القمص متاؤس السرياني	١٤
الفصل الثاني:	٣٣
مناظرات روحية مع الراهب القمص متاؤس السرياني	٣٤
الفصل الثالث:	١١٩
الفكر الرهباني الآبائي في حياة وكتابات الراهب القمص متاؤس السرياني	١٢٠
✝ تمهيد	١٢٠
✝ تذكار الموت	١٢٢
✝ الأبوة	١٣٠
✝ الغربة	١٣٤
✝ السكون والهدوء	١٣٧
✝ الثبات	١٤١

المحتوى صفحة

✝ الشبع والعزاء الحقيقي ١٤٧
✝ الاتضاع ١٥١
✝ الجدية والاجتهاد ١٥٨
✝ التدرج في الحياة الروحية ١٦٥
✝ الصبر والمثابرة ١٦٧
✝ أفكار رهبانية أخرى ١٧٠
✝ تعاليم للمبتدئين ١٨٢

كتب للمؤلف ١٨٨

تصفّحت كتاباً صدر لأبينا
القمص متاؤس السرياني
بعنوان: "مذكرات راهب معاصر"
فوجدت فيه أفكاراً عميقة،
وأفكاراً رهبانية حقيقية.

البابا شنوده الثالث

[redacted] جنيهات